قصيدة

ذكرى الحج ومنافعه

للإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني
ت (١١٨٢) هـ
رحمه الله تعالى

اعتنى بها وقدّم لها وعلّق عليها

الدكتور/ ناصر بن علي بن عايض بن حسن الشيخ
الباحث في مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد
لطباعة المصحف الشريف بطيبة الطيبة



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فإن علم الفقه وأحكامه يعتبر من أجل العلوم الشرعية، الذي لا تقوم الأمة الإسلامية حق القيام إلا به، ولا تتأسس حياتها ومقوماتها إلا عليه وفي ظله، ولا يصح لأي فرد منها أن يُقدم على أي تصرف حتى يعلم حكم الله فيه منه، لأنه وحده المنهج المنظم لحياة المسلم وتصرفاته، والمتضمن للتشريع المناسب، والحل الملائم لكل ما يستجد من تطورات وأحداث في حياته، وقد قيض الله لهذا العلم علماء أفاضل أفنوا أعمارهم في خدمته، فكان منهم الرواد الذين أسسوه حتى أصبح علماً مستقلاً له مباحثه المتنوعة التي يختص بها، وكان منهم البناة الذين أعلوا صروحه بالتهذيب، والترتيب، والاختصار، والتنقيح لأمهات ودواوين الكتب الإسلامية، وهم كثيرون، ومن هذه الفئة الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني رحمه الله تعالى[1].

فقد خدم الكثير من كتب السنة شرحاً وتهذيباً، وترتيباً، واختصاراً، ونظماً، ومؤلفاته الكثيرة شاهدة له بذلك رحمه الله تعالى، فالصنعاني رحمه الله تعالى كان شارحاً ناظماً للكتب المفيدة المتضمنة لأحكام الإسلام، ومن منظوماته هذه القصيدة الفقهية التي اشتملت على ذكرى الحج ومنافعه[2]، والتي تعود بالنفع

---

(١) انظر: ترجمته ص٩ من تقديمي لمنسكه المتقدم على هذه القصيدة.

(٢) ذكر هذه القصيدة ضمن مؤلفات الإمام الصنعاني الشيخ إسماعيل الأكوع في كتابه هجر العلم ومعاقله في اليمن ٤/ ٨٥٧، والدكتور أحمد بن محمد العليمي في دراسته للإمام =

الكثير على كل مسلم أدى فريضة الحج، كما تناول فيها الأحكام المتعلقة بكل منسك من مناسك الحج في نظم بليغ، سلس، فيه متعة جذابة لقلب القارئ لها، كما أنها تُشَنِّفُ آذان السامعين، وتزرع في قلوبهم الشوق المتجدد لزيارة بيت الله الحرام، لأداء فريضة الحج.

كما صور فيها أحاسيس ومشاعر الحجيج في كل منسك من مناسك الحج، وما يقومون به فيها من أنواع الطاعات والقربات القولية، والفعلية، والاعتقادية، متأسين في ذلك برسول الله ﷺ، يبتغون من ربهم أن يتجاوز عن سيئاتهم، وأن يغفر لهم ذنوبهم، وزلاتهم، وهم فرحون مسرورون بتوفيق الله لهم على ذلك.

كما صوَّر فيها أيضاً: شوق الحجيج وتلهفهم لزيارة طيبة الطيبة، من أجل الصلاة في المسجد النبوي، للحصول على مضاعفة ثواب فضل الصلاة فيه، ثم القيام بعد الصلاة فيه للسلام على سيد ولد آدم نبينا محمد ﷺ، ووزيريه أبي بكر الصديق، وعمر الفاروق رضي الله عنهما، وأرضاهما.

كما بَيَّنَ سُنِّيَّة زيارة مسجد قباء، والصلاة فيه، وزيارة مقبرة بقيع الغرقد الذي فيه جماعة من الصحابة من بينهم عثمان ذو النورين رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

وبيَّن فيها أيضاً مشروعية زيارة مقبرة شهداء أحد اقتداءً في ذلك بالنبي ﷺ، والغرض من زيارة القبور تَذَكُّرُ الآخرة، والدعاء والاستغفار لأصحابها، والترحم عليهم.

ولما كانت هذه القصيدة بهذه الأهمية، وأنها تعتبر منسكاً آخر للإمام الصنعاني رحمه الله تعالى قمت بالاعتناء بها بما يلي:

= الصنعاني والتي هي بعنوان: (الصنعاني وكتابه توضيح الأفكار) ص ٣٨، والدكتور عبد الله شاكر الجنيدي في مقدمته لتحقيق كتاب إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة للصنعاني ١/ ٩٧.

١ـ لما فرغت من الاعتناء بمنسك الإمام الصنعاني المتقدم في الترتيب على هذه القصيدة، والمسمى: (منسك في هدي المصطفى ﷺ في حجة الوداع).

رأيت أن أعتني بمنسكه الآخر الذي نظمه نظماً، والمسمى: (قصيدة في ذكر الحج ومنافعه[1])، لأكون بهذا قد قدمت خدمةً علميةً شبه متكاملة لِـمَنْسَكَيْ الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى، وقد وجدت هذا المنسك النظمي ضمن المجموع الذي ذكرت تفاصيله في ص ٧ من مقدمتي للمنسك السابق، وترتيب هذه القصيدة في المجموع المشار إليه: (الرسالة الثالثة)، فقمت بقراءتها كاملة، فوجدتها بحاجة ماسة إلى خدمة علمية من حيث الدراسة والتعليق، وشرح ما فيها من الغريب.

ولعدم عثوري على نسخة خطية لهذه القصيدة أقابلها عليها بكاملها عمدت إلى جمع ثلاث نسخ بطبعات مختلفة، ثم جعلت النسخة المشار إليها أنها (الرسالة الثالثة) في المجموع أصلاً اعتمدته في الاعتناء بها، إذ هي نسخة قديمة في طباعتها، ثم قابلتها مع غيرها فعثرت أثناء المقابلة على بعض الأخطاء الطباعية التي قمت بتصحيحها في مواضعها، ثم قابلتها ثانية بعد طباعتها على الحاسوب مقابلة نهائية.

---

(١) اسمها على طرتها: (قصيدة ذكرى الحج وبركاته) واستحسنت استبدال كلمة (وبركاته) بـــ (ومنافعه)، لأنّ الصنعاني رحمه الله تعالى ضمّن القصيدة مع ذكرى الحج الكثير من منافعه الدينية والدنيوية المتنوّعة.

٢ـ أحب أن أنبه هنا إلى أن قصيدة الإمام الصنعاني هذه اقتبسها[1] من قصيدة لأبي عبد الله مجد الدين الوِتري[2] اسمها : «القصيدة الذهبية في الحجة المكية والزورة المحمدية»[3].

وقد ذكر منها الإمام الفاسي[4] مقاطع في كتابه: «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام» ٢/ ٢٨٥ـ٢٩٠، تحت عنوان: (ذكر شيء مما قيل من الشعر في الشوق إلى مكة الشريفة، وذكر معالمها المنيفة) وعدد أبيات هذه المقاطع: خمسة وتسعون بيتاً، وقد قمت بمقابلة قصيدة الصنعاني رحمه الله تعالى على الموجود منها في: «شفاء الغرام»، فوجدته رحمه الله تعالى أحياناً يقتبس أبياتاً عديدة متوالية، وأحياناً يقتبس بيتاً واحداً، وأحياناً شطر بيت،

---

(١) الاقتباس: أن يضمن الكلام، نثراً كان أو نظماً، شيئاً من القرآن الكريم، أو الحديث كقول ابن شمعون في وعظه: يا قوم اصبروا (عن) المحرمات، وصابروا على المفترضات، وراقبوا بالمراقبات، واتقوا الله في الخلوات، ترفع لكم الدرجات.

وكقوله:

وإن تبَدَّلَتَ بِنَا غَيْرَنا فَحَسْبُنا اللهُ ونعم الوكيل

انتهى من كتاب التعريفات للجرجاني ص ٤٩ـ٥٠، باب الألف، الطبعة الثالثة، ١٤١٧ هـ.

(٢) هو: محمد بن محمد بن أبي بكر بن رشيد، أبو عبد الله مجد الدين الوِتري، - وقد تحرّف اسم جده: رشيد إلى مرشد في شفاء الغرام - ويقال له: صاحب الوِترية، واعظ، شافعي من شعراء بغداد. اشتهر بمجموعة من المدائح النبوية سماها (الوتريات في مدح أفضل الكائنات)، وتسمى (القصائد الوترية في مدح خير البرية) توفي عام (٦٦٢هـ). انظر: ترجمته في الأعلام للزركلي ٧/ ٢٩، الطبعة الحادية عشرة (١٩٩٥ م)، وفي هدية العارفين ٢/ ١٢٧، معجم المؤلفين ٩/ ١١٤.

(٣) شفاء الغرام ٢/ ٢٨٥، هدية العارفين ٢/ ١٢٧.

(٤) هو الإمام أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المكي المالكي (ت ٨٣٢ هـ) رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في الأعلام ٦/ ٢٢٧-٢٢٨.

وتارات عديدة يُضَمِّن نظمه أبياتاً منها بألفاظ مغايرة مترادفة، والاقتباس أو الاستقاء من معلومات الآخرين أو الاقتباس من منهجهم أمر جائز وسائغ لا عيب فيه عند علماء البلاغة[1]، فلا عيب ولا غضاضة أن يقتبس الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى قصيدته التي ستأتي أبياتها بعد قليل من القصيدة المشار إليها آنفاً.

٣ـ ضبطت كلماتها وقوافيها بالشكل، ليقرأها الناظر فيها قراءة صحيحة وفقاً لقواعد اللغة العربية، وكما يريدها ناظمها رحمه الله تعالى.

٤ـ قمت بشرح الكلمات الغريبة الواردة فيها مستعيناً في ذلك بكتب اللغة العربية وبعض كتب الغريب، وقد سبقني في هذه الفقرة الشيخ عبد التواب بن العلامة قمر الدين رحمه الله تعالى[2]، فإنه قام بشرح جملة من مفردات القصيدة دون أن يوثق ذلك بذكر المصادر التي استفاد منها ذلك الشرح عدا موضعين في شرحه لمفردتين أشار في الأولى منهما بقوله: (تاج العروس) وفي الثانية بقوله: (وفي الصحاح) وقد استفدت من شرحه ذلك وزدت عليه شرحاً لمفردات كثيرة لم يشرحها في هذه القصيدة ووثقت ذلك كله من كتب اللغة وغيرها، وذلك بذكر اسم الكتاب والجزء والصفحة وتدوين ذلك في الحاشية.

٥ـ إذا أشار الصنعاني رحمه الله تعالى في نظمه إلى آية أو حديث أذكر نص ذلك في الحاشية غالباً مع التنبيه على درجة الحديث من حيث الصحة والضعف.

٦ـ علّقت على بعض المواطن في هذه القصيدة إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

٧ـ عملت مقدمة موجزة لهذه القصيدة نوّهتُ فيها بمكانة الفقه الإسلامي،

---

(١) انظر: في شأن الاقتباس الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/ ٧١٩ـ٧٢٧، طبعة: مجمع الملك فهد رحمه الله تعالى، الطبعة الأولى، عام (١٤٢٦ هـ).

(٢) هو: أبو تراب عبد التواب بن العلاّمة قمر الدين الملتاني السندي ت:(١٣٦٦هـ)، انظر: ترجمته في كتاب: (جهود مخلصة في خدمة السنّة المطهرة) للفريوائي، ص ١٥١، ط (٢) (١٤٠٦ هـ).

وأهميته في حياة المسلم، كما نوَّهْتُ فيها أيضاً: بمكانةِ هذه القصيدة التي اشتملت على بيان مكانة حج بيت الله الحرام، وما يترتب عليه من الأجر الوافر العظيم لمن وفق لأدائه من المسلمين.

٨ـ وضعت لها فهرساً موضوعياً حسب عناوينها لتسهيل الاستفادة من معلوماتها.

وإلى قراءة هذه القصيدة الجميلة التي يبلغ عدد أبياتها : (مئتان وثلاثة وثمانون) بيتاً لنرى فيها ما ذكرناه عنها في هذه المقدمة الموجزة حيث قال الإمام محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الصنعاني رحمه الله تعالى:

١ـ أيا عَذَبَاتِ البَانِ[(١)] مِنْ أَيْمَنِ الحِمَى[(٢)] رَعَى اللهُ عَيْشاً في رُبَاكِ[(٣)] قَطَعْنَاهُ
٢ـ سَرَقْنَاهُ مِنْ شَرْخِ[(٤)] الشَّبَابِ وَرَوْقِهِ[(٥)] فَلَمَّا سَرَقْنَا الصَّفْوَ مِنْهُ سُرِقْنَاهُ
٣ـ وجاءَتْ جُيوشُ البَيْنِ[(٦)] يَقْدُمُهَا القَضَا فَبَدَّدَ[(٧)] شَمْلاً بالحِجَازِ نَظَمْنَاهُ
٤ ـ حَرَامٌ بِذِي الدُّنْيَا[(٨)] دَوَامُ اجْتِمَاعِنَا فَكَمْ صَرَمتْ[(٩)] للشَّمْلِ[(١٠)] حَبْلاً وَصَلْنَاهُ
٥ـ فَيَا أَيْنَ أَيَّامٌ تَوَلَّتْ عَلَى الحِمَى وَلَيْلٌ مَعَ العُشَّاقِ فِيهِ سَهِرْنَاهُ
٦ ـ ونَحْنُ لِجِيرَانِ المُحَصَّبِ[(١١)] جِيرَةٌ نُوَفِّي لهُمْ حُسْنَ الوِدَادِ ونَرْعَاهُ

---

(١) عذبات البان: البان: شجر يسمو ويطول في استواء مثل نبات الأثل، وورقه أيضاً: هدبٌ كهدب الأثل، وليس لخشبه صلابة، واحدته: بانة، قال أبو زياد: من العضاه البان، وله هدب طويل شديد الخضرة، وينبت في الهضب، وثمرته تشبه قرون اللوبياء إلا أن خضرتها شديدة، ولها حب، ومن ذلك الحب يستخرج دهن البان. لسان العرب ١٣/ ٧٠، تاج العروس من جواهر القاموس ١٨/ ٧٤.

(٢) الحمى: موضع فيه كلأ يحمى من الناس أن يرعى، يمنع ولا يُقْرَب. انظر: تهذيب اللغة ٥/ ٢٧٣ـ٢٧٤، النهاية في غريب الحديث ١/ ٤٤٧، لسان العرب ١٤/ ١٩٩.

(٣) رباك: الربوة بالضم والفتح ـ: ما ارتفع من الأرض. انظر: النهاية ٢/ ١٩٢.

(٤) شرخ الشباب: أول الشباب، وقيل: قوته ونضارته. انظر: تهذيب اللغة ٧/ ٨٣، لسان العرب ٣/ ٢٩.

(٥) روقه: روق الرجل شبابه، وهو أول كل شيء. انظر: تهذيب اللغة ٩/ ٢٨٣.

(٦) البين: البعد والفراق. انظر: النهاية ١/ ١٧٥، لسان العرب ١٣/ ٦٢.

(٧) فبَدَّدَ: أي: فَرَّقَ. انظر: النهاية ١/ ١٠٥.

(٨) بذي الدنيا: أي بهذه الدنيا.

(٩) صرمت: قطعت. انظر: لسان العرب ١٢/ ٣٣٤.

(١٠) الشمل: هو ما اجتمع من أمر الرجل وما تشتت منه، فهو بعكس ذلك.
انظر: لسان العرب ١١/ ٣٧٠.

(١١) المحصب: موضع رمي الجمار بمنى، وقيل: هو الشعب الذي مخرجه إلى الأبطح بين مكة ومنى، سميا بذلك للحصى الذي فيهما. انظر: لسان العرب ١/ ٣١٩.

٧- ونخلو بِمَنْ نَهْوَى إِذَا رَقَدَ الوَرَى[١] ويجْلُو[٢] عَلَيْنَا مَنْ نُحِبُّ مُحَيَّاهُ[٣]
٨- فَقُرْبٌ ولاَ بُعْدٌ وَشَمْلٌ مُجَمَّعٌ وَكَأْسُ وِصَالٍ بَيْنَنَا قَدْ أَدَرْنَاهُ
٩- فَهَاتِيكَ أَيَّامُ الحَيَاةِ وغَيْرُهَا مَمَاتٌ فَيَا لَيْتَ النَّوَى[٤] مَا شَهِدْنَاهُ
١٠- فَيَا مَا أَمَرَّ البَيْنَ مَا أَقْتَلَ الهَوَى أَمَا يَا الهَوَى إِنَّ الهَنَا[٥] قَدْ سُلِبْنَاهُ
١١- فَوَاللهِ لَمْ يُبْقِ الفِرَاقُ لَذَاذَةً فَلَوْ مِنْ سَبِيلٍ للفِرَاقِ فَرَقْنَاهُ
١٢- فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ بَيْتَنَا بِسِهَامِهِ فَلَوْ أَنَّنَا نُعْطَى القِصَاصَ قَتَلْنَاهُ
١٣- فَأَحْبَابَنَا بِالشَّوْقِ[٦] بِالحُبِّ بِالجَوَى[٧] لِحُرْمَةِ عَقْدٍ عِنْدَنَا مَا حَلَلْنَاهُ
١٤- لِحَقِّ هَوَانَا فِيكُمُ وَوِدَادِنَا لِمِيثَاقِ عَهْدٍ صَادِقٍ مَا نَقَضْنَاهُ
١٥- أَعِيدُوا لَنَا أَعْيَادَنَا بِرُبُوعِكُمْ[٨] وَوَقْتَ سُرُورٍ فِي حِمَاكُمْ قَضَيْنَاهُ
١٦- فَمَا العَيْشُ إِلاَّ مَا قَضَيْنَا عَلَى الحِمَى فَذَاكَ الذِي مِنْ عُمْرِنَا قَدْ عَدَدْنَاهُ

---

(١) الورى: الخلق. انظر: مختار الصحاح ص ٧١٨.
(٢) يجلو: يظهر، وينظر. انظر: تاج العروس ١٩/ ٢٨٩، ترتيب القاموس ١/ ٥٢٤.
(٣) محياه: وجهه، وفي اللسان ١٤/ ٢١٢: «والمحيا: جماعة الوجه، وقيل: حُرُّه، وهو من الفرس حيث انفرق تحت الناصية في أعلى الجبهة وهناك دائرة المحيا».
(٤) النوى: البعد. انظر: لسان العرب ١٥/ ٣٤٧.
(٥) الهنا: ضد التعب. انظر: تهذيب اللغة ٦/ ٤٣٢ـ ٤٣٣، مختار الصحاح ص ٧٠٠، المصباح المنير ٢/ ٦٤٢.
(٦) الشوق: نزاع النفس إلى الشيء. انظر: تهذيب اللغة ٩/ ٢١٠، لسان العرب ١٠/ ١٩٢.
(٧) الجوى: الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن. انظر: لسان العرب ١٤/ ١٥٧.
(٨) بربوعكم: الربوع: الديار ويقصد هنا البلد الأمين، الذي هو مكة، وما فيها من المشاعر المقدسة.

١٧ـ فَيَا لَيْتَ عَنَّا أَغْمَضَ البَيْنُ طَرْفَهُ ... وَيَا لَيْتَ وَقْتاً لِلفِرَاقِ فَقَدْنَاهُ
١٨ـ وَتَرْجِعُ أَيَّامُ المُحَصَّبِ مِنْ مِنًى ... وَيَبْدُو تَرَاهُ لِلعُيُونِ وَحَصْبَاهُ[1]
١٩ـ وَتَسْرَحُ فِيهِ العِيسُ[2] بَيْنَ ثُمَامَةٍ[3] ... وَتَسْتَنْشِقُ الأَرْوَاحُ نَشْرَ[4] خُزَامَاهُ[5]
٢٠ـ وَنَشْكُو إِلَى أَحْبَابِنَا طُولَ شَوْقِنَا ... إِلَيْهِم وَمَاذَا بِالفِرَاقِ لَقِينَاهُ
٢١ـ فَلَا كَانَتِ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يُعَايَنُوا ... هُمُ القَصْدُ فِي أُولَى المَشُوقِ وَأُخْرَاهُ
٢٢ـ عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللهِ يَا سَاكِنِي الحِمَى ... بِكُمْ طَابَ رِيَّاهُ[6] بِكُمْ طَابَ سُكْنَاهُ
٢٣ـ وَرَبِّكُمُ لَولَاكُمُ مَا نَوَدُّهُ ... وَلَا القَلْبَ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهِ أَذَبْنَاه
٢٤ـ أَسُكَّانَ وَادِي المُنْحَنَى[7] زَادَ وَجْدُنَا ... بِمَغْنَى[8] حِمَاكُمْ ذَاكَ مَغْنًى شَغَفْنَاهُ[9]

---

(١) حَصْبَاه: أي: حَصَاه. انظر: لسان العرب ١/ ٣١٨.
(٢) العيس: بالكسر الإبل البيض يخالط بياضها شقرة ما، جمع أعيس، مؤنثه: عيساء. انظر: تهذيب اللغة ٣/ ٩٣ـ٩٤، مختار الصحاح ص ٤٦٥، لسان العرب ٦/ ١٥٢.
(٣) ثمامة: الثمام: نبت ضعيف له خوص، أو شبيه بالخوص، ربما حشي به وشد به خصاص البيوت، الواحدة: ثمامة. انظر: لسان العرب ١٢/ ٨١.
(٤) النشر: الريح الطيبة. انظر: لسان العرب ٥/ ٢٠٦.
(٥) الخزامى: نبت طيب الريح واحدته خزاماة، وقيل: الخزامى عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق، حمراء الزهرة طيبة الريح لها نَوْرٌ كنور البنفسج، ولم يوجد من الزهر زهرة أطيب نفحة من نفحة الخزامى. انظر: لسان العرب ١٢/ ١٧٦.
(٦) رِيَّاه: بالكسر رؤياه، والرِّيَّا لغة في الرؤيا. انظر: مختار الصحاح ص ٢٢٧، لسان العرب ١٤/ ٢٩٧.
(٧) المنحنى: موضع قرب مكة. انظر: تاج العروس ١٩/ ٣٥٠.
(٨) المغنى: المنزل الذي غني به أهله واستغنوا به عن غيره. انظر: تاج العروس ٢٠/ ٢٩.
(٩) جاء في مختار الصحاح ص ٣٤٠ـ٣٤١: «الشَّغاف بالفتح غلاف القلب، وهو جلدة دونه كالحجاب، يقال: شغفه الحبُّ، أي: بلغ شِغافَه وبابه باب شَغَفَ، وقد ذكر فيه، وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾، قال: دخل حُبُّه تحت الشَّغاف». وانظر: لسان العرب ٩/ ١٧٩.

٢٥ـ نَحِنُّ[1] إِلَى تِلْكَ الرُّبُوعِ تَشَوُّقاً فَفِيهَا لَنَا عَهْدٌ وعَقْدٌ عَقَدْنَاهُ
٢٦ـ وَرَبٌّ بَرَانَا[2] مَا سَلَوْنَا رُبُوعَكُمْ وَمَا كَانَ مِنْ رَبْعٍ سِوَاهُ سَلَوْنَاهُ[3]
٢٧ـ فَيَا هَلْ إِلَى رَبْعِ الأَعَارِيبِ[4] عَوْدَةٌ فَذَاكَ وَحَقِّ اللهِ رَبْعاً حَبَيْنَاهُ[5]
٢٨ـ قَضَيْنَا مَعَ الأَحْبَابِ فِيهِ مَآرِباً إِلَى الحَشْرِ لا تُنْسَى سَقَى اللهُ مَرْعَاهُ
٢٩ـ فَشُدُّوا مَطَايَانَا[6] إِلَى الرَّبْعِ ثَانِياً فَإِنَّ الهَوَى عَنْ رَبْعِهِمْ مَا ثَنَيْنَاهُ[7]

ذكر البيت والطواف

٣٠ـ فَفِي رَبْعِهِمْ للهِ بَيْتٌ مُبَارَكٌ[8] إِلَيْهِ قُلُوبُ الخَلْقِ تَهْوِي وَتَهْوَاهُ

---

(١) نَحِنُّ: بالكسر من الحنين وهو الشوق وشدة البكاء والطرب، وتوقان النفس. انظر: القاموس المحيط ٤/ ٢١٨، لسان العرب ١٣/ ١٢٩، تاج العروس ١٨/ ١٦٠.
(٢) برانا: أي: خلقنا. انظر: مختار الصحاح ص ٥٠، المصباح المنير ١/ ٤٧.
(٣) سلوناه: نسيناه، وأعرضنا عن ذكره. انظر: تهذيب اللغة ٣/ ٩٨، تاج العروس ١٩/ ٥٣٣.
(٤) الأعاريب: جمع أعراب لا واحد له، وهم سكان البادية من العرب. انظر: مختار الصحاح ص ٤٢١، تاج العروس ٢/ ٢١٤.
(٥) حبيناه: لغة شاذة في أحببناه. انظر: لسان العرب ١/ ٢٨٩.
(٦) مطايانا: جمع مطية وهي الناقة التي يُركب مطاها، والمطية: البعير يمتطى ظهره، وجمعه المطايا، يقع على الذكر والأنثى. انظر: لسان العرب ١٥/ ٢٨٦.
(٧) ثنيناه: أي: صرفناه. انظر: لسان العرب ١٤/ ١١٥.
(٨) يشير رحمه الله تعالى إلى قوله: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦]، ففي هذه الآية أخبر تعالى بعظمة بيته الحرام، وأنه أول البيوت التي وضعها الله في الأرض لعبادته، وإقامة ذكره، وأن فيه من البركات، وأنواع الهدايات، وتنوع المصالح والمنافع للعالمين شيء كثير وفضل غزير. انتهى من تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١/ ٢٤٣.

٣١ـ يَطُوفُ بِهِ الجَانِي فَيُغْفَرُ ذَنْبُهُ وَيَسْقُطُ عَنْهُ جُرْمُهُ وخَطَايَاهُ[1]
٣٢ـ فَكَمْ لَذَّةٍ كَمْ فَرْحَةٍ لِطَوَافِهِ فَلِلَّهِ مَا أَحْلَى الطَّوَافَ وأَهْنَاهُ
٣٣ـ نَطُوفُ كَأَنَّا فِي الجِنَانِ نَطُوفُهَا وَلاَ هَمَّ لا غَمٌّ فَذَاكَ نَفَيْنَاهُ
٣٤ـ فَوَا شَوْقَنَا نَحْوَ الطَّوَافِ وَطِيبِهِ فَذَلِكَ شَوْقٌ لاَ يُعَبَّرُ مَعْنَاهُ
٣٥ـ فَمَنْ لَمْ يَذُقْهُ لَمْ يَذُقْ قَطُّ لَذَّةً فَذُقْهُ تَذُقْ يَا صَاحِ مَا قَدْ أَذَقْنَاهُ
٣٦ـ فَوَاللهِ مَا نَنْسَى الحِمَى فَقُلُوبُنَا هُنَاكَ تَرَكْنَاهَا فَيَا كَيْفَ نَنْسَاهُ
٣٧ـ تَرَى رَجْعَةً هَلْ عَوْدَةٌ لِطَوَافِنَا وَذَاكَ الحِمَى قَبْلَ المَنِيَّةِ نَغْشَاهُ
٣٨ـ وَوَاللهِ مَا نَنْسَى زَمَانَ مَسِيرِنَا إِلَيْهِ وَكُلُّ الرَّكْبِ قَدْ لَذَّ مَسْرَاهُ
٣٩ـ وَقَدْ نُسِيَتْ أَوْلاَدُنَا ونِسَاؤُنَا وَأَمْوَالُنَا فَالقَلْبُ عَنْهُمْ شَغَلْنَاهُ
٤٠ـ تَرَاءَتْ لَنَا أَعْلاَمُ وَصْلٍ عَلَى اللِّوَى[2] فَمِنْ أَجْلِهَا فَالقَلْبُ عَنْهُمْ لَوَيْنَاهُ[3]
٤١ـ جَعَلْنَا إِلَهَ العَرْشِ نَصْبَ عُيُونِنَا وَمَنْ دُونَهُ خَلْفَ الظُّهُورِ نَبَذْنَاهُ
٤٢ـ وَسِرْنَا نَشُقُّ البِيدَ[4] لِلبَلَدِ الَّذِي بِجَهْدٍ وَشِقٍّ لِلنُّفُوسِ بَلَغْنَاهُ

---

(١) يشير رحمه الله تعالى بهذا إلى فضل الطواف بالبيت، وهو قوله ﷺ: «من طاف بهذا البيت أسبوعاً فأحصاه، كان كعتق رقبة، لا يضع قدماً، ولا يرفع أخرى إلا حط الله عنه بها خطيئة، وكتب له بها حسنة». رواه الترمذي برقم (٩٥٩)، والنسائي في سننه برقم (٢٩١٩) مختصراً، والحاكم في المستدرك ١/ ٤٨٩، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وهو حديث صحيح أورده الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الجامع الصغير ٢/ ١٠٩٠، برقم: (٦٣٨٠).

(٢) اللِّوى: بالكسر ما التوى من الرمل، وقيل: مسترقُّه، وقيل: منقطع الرمل، وقيل: منعطفه. انظر: لسان العرب ١٥/ ٢٦٢ـ٢٦٣، تاج العروس ٣٩/ ٤٨٦.

(٣) لويناه: أي: رددناه. انظر: المعجم الوسيط ١/ ١٠١.

(٤) البيد: بالكسر جمع البيداء، هي: المفازة. انظر: مختار الصحاح ص ٧٠.

٤٣ـ رِجَالاً وَرُكْبَاناً عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ[١] وَمِنْ كُلِّ ذِي فَجٍّ[٢] عَمِيقٍ[٣] أَتَيْنَاهُ
٤٤ـ نَخُوضُ إِلَيْهِ البَرَّ وَالبَحْرَ والدُّجَى[٤] وَلاَ قَاطِعٌ إِلاَّ وَعَنْهُ قَطَعْنَاهُ
٤٥ـ وَنَطْوِي الفَلاَ[٥] مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ لِلِّقَا فَتُمْسِي الفَلاَ تَحْكِي سِجلاً قَطَعْنَاهُ
٤٦ـ وَلاَ صَدَّنَا عَنْ قَصْدِنَا فَقْدُ أَهْلِنَا وَلاَ هَجْرُ جَارٍ أَوْ حَبِيبٍ أَلِفْنَاهُ
٤٧ـ وَأَمْوَالُنَا مَبْذُولَةٌ ونُفُوسُنَا وَلَمْ نُبْقِ شَيْئاً مِنْهُمَا مَا بَذَلْنَاهُ
٤٨ـ عَرَفْنَا الذِي نَبْغِي وَنَطْلُبُ فَضْلَهُ فَهَانَ عَلَيْنَا كُلُّ شَيْءٍ بَذَلْنَاهُ
٤٩ـ فَمَنْ عَرَفَ المَطْلُوبَ هَانَتْ شَدَائِدٌ عَلَيْهِ وَيَهْوَى كُلَّ مَا فِيه يَلْقَاهُ
٥٠ـ فَيَا لَوْ تَرَانَا كُنْتَ تَنْظُرُ عُصْبَةً[٦] حَيَارَى سُكَارَى نَحْوَ مَكَّةَ وُلاَّهُ
٥١ـ فَلِلَّهِ كَمْ لَيْلٍ قَطَعْنَاهُ بالسُّرَى[٧] وَبَرٍّ بِسَيْرِ اليَعْمَلاَتِ[٨] بَرَيْنَاهُ[٩]

---

(١) ضامر: يطلق على الذكر والأنثى من الإبل، وهو مأخوذ من الضُّمر بالضم بمعنى الهزال، وخفة اللحم، ولحاق البطن. انظر: مختار الصحاح ص ٣٨٤، لسان العرب ٤/ ٤٩١، المصباح المنير ٢/ ٣٦٤.

(٢) الفج: بالفتح الطريق الواسع بين الجبلين، والجمع: فجاج. انظر: مختار الصحاح ص ٤٩١.

(٣) عميق: أي: بعيد. انظر: المصباح المنير ٢/ ٤٣٠.

(٤) الدجى: الظلام. انظر: تاج العروس ١٩/ ٣٩٩.

(٥) الفلا: جمع فلاة، وهي: المفازة. انظر: مختار الصحاح ص ٥١٢.

(٦) عصبة: أي: جماعة.

(٧) السُّرَى: السير ليلاً، ويكون السرى أول الليل، وأوسطه وآخره. انظر: المصباح المنير ١/ ٢٧٥، مختار الصحاح ص ٢٩٧.

(٨) اليعملات: جمع يعملة، وهي الناقة النجيبة المعتملة المطبوعة على العمل، ولا تطلق إلا على الأنثى. انظر: لسان العرب ١١/ ٤٧٦.

(٩) بريناه: مِثْل: رميناه. انظر: مختار الصحاح ص ٥١، المصباح المنير ١/ ٤٧، تاج العروس ١٩/ ١٩٧.

٥٢ـ وَكَمْ مِنْ طَرِيقٍ مُفْزِعٍ فِي مَسِيرِنَا ... سَلَكْنَا وَوَادٍ بِالمَخَاوِفِ جُزْنَاهُ(١)

٥٣ـ وَلَوْ قِيلَ إِنَّ النَّارَ دُونَ مَزَارِكُمْ ... دَفَعْنَا إِلَيْهَا وَالعَذُولَ(٢) دَفَعْنَاهُ

٥٤ـ فَمَوْلَى المَوَالِي لِلزِّيَارَةِ قَدْ دَعَا ... أَنَقْعُدُ عَنْهَا وَالمَزُورُ هُوَ اللَّهُ

٥٥ـ تَرَادَفَتِ الأَشْوَاقُ وَاضْطَرَمَ(٣) الحَشَا(٤) ... فَمَنْ ذَا لَهُ صَبْرٌ وَتَضْرِمُ أَحْشَاهُ(٥)

٥٦ـ وَأَسْرَى بِنَا الحَادِي فَأَمْعَنَ فِي السُّرَى ... وَوَلَّى الكَرَى(٦) نَوْمَ الجُفُونِ نَفَيْنَاهُ

الإحرام من الميقات

٥٧ـ وَلَمَّا بَدَا مِيقَاتُ إِحْرَامِ حَجِّنَا ... نَزَلْنَا بِهِ وَالعِيسَ فِيهِ أَنَخْنَاهُ(٧)

٥٨ـ لِيَغْتَسِلَ الحُجَّاجُ فِيهِ وَيُحْرِمُوا ... فَمِنْهُ نُلَبِّي رَبَّنَا لا أحُرِمْنَاهُ

٥٩ـ وَنَادَى مُنَادٍ لِلحَجِيجِ لِيُحْرِمُوا ... فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ أَجَابَ وَلَبَّاهُ

---

(١) جزناه: أي: قطعناه. انظر: المصباح المنير ١/ ١١٤.

(٢) العذول: اللائم والمعاتب. انظر: مختار الصحاح ص ٤٢١، لسان العرب ١١/ ٤٣٧، المصباح المنير ٢/ ٣٩٩.

(٣) اضطرم: أي: التهب. انظر: لسان العرب ١٢/ ٣٥٤.

(٤) الحشا: ما اضطمت عليه الضلوع والجمع أحشاء، وحشوة البطن: بكسر الحاء، وضمها، أمعاؤه. انظر: مختار الصحاح ص ١٣٨، لسان العرب ١٤/ ١٧٨، المصباح المنير ١/ ١٣٨.

(٥) (وتضرم أحشاه): جملة حالية، وانظر معناها في لسان العرب ١٢/ ٣٥٤ـ٣٥٥.

(٦) الكرى: النوم، والكرى: النعاس، يكتب بالياء والجمع أكراء. انظر: لسان العرب ١٥/ ٢٢١، تاج العروس ٢٠/ ١٢٣.

(٧) أنخناه: جاء في مختار الصحاح ص ٦٨٤: «أنخت الجمل: فاستناخ أي: أبركته فبرك».

٦٠- وَجُرِّدَتِ القُمْصَانُ والكُلُّ أَحْرَمُوا ... وَلاَ لُبْسَ لاَ طِيبٌ جَمِيعاً هَجَرْنَاهُ
٦١- وَلاَ لَهْوٌ وَلاَ صَيْدٌ وَلاَ نَقْرَبُ النِّسَا ... وَلاَ رَفَثٌ لاَ فِسْقَ كُلاًّ رَفَضْنَاهُ
٦٢- وَصِرْنَا كَأَمْوَاتٍ لَفَفْنَا جُسُومَنَا ... بِأَكْفَانِنَا كُلٌّ ذَلِيلٌ لِمَوْلاَهُ
٦٣- لَعَلَّ يَرَى ذُلَّ العِبَادِ وَكَسْرَهُمُ ... فَيَرْحَمُهُمْ رَبٌّ يُرَجُّونَ رُحْمَاهُ[1]
٦٤- يُنَادُونَهُ: لَبَّيكَ لَبَّيْكَ ذَا العُلاَ ... وَسَعْدَيْكَ كُلُّ الشِّرْكِ عَنْكَ نَفَيْنَاهُ
٦٥- فَلَوْ كُنْتَ يَا هَذَا تُشَاهِدُ حَالَهُمْ ... لأَبْكَاكَ ذَاكَ الحَالُ فِي حَالِ مَرْآهُ
٦٦- وُجُوهُهُمُ غُبْرٌ[2] وَشَعْثٌ[3] رُؤُوسُهُمْ ... فَلاَ رَأْسَ إلاَّ لِلإِلَهِ كَشَفْنَاهُ
٦٧- لَبِسْنَا دُرُوعاً مِنْ خُضُوعٍ لِرَبِّنَا ... وَمَا كَانَ مِنْ دِرْعِ المَعَاصِي خَلَعْنَاهُ
٦٨- وَذَاكَ قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ ذُنُوبِنَا ... فَيَا طَالَمَا رَبَّ العِبَادِ عَصَيْنَاهُ
٦٩- إِلَى زَمْزَمَ زُمَّتْ[4] رِكَابُ مَطِيِّنَا ... وَنَحْوَ الصَّفَا عِيسَ الوُفُودِ صَفَفْنَاهُ
٧٠- نَؤُمُّ مَقَاماً لِلخَلِيلِ مُعَظَّماً ... إِلَيْهِ اسْتَبَقْنَا والرِّكَابَ حَثَثْنَاهُ[5]
٧١- وَنَحْنُ نُلَبِّي فِي صُعُودٍ ومَهْبِطٍ ... كَذَا حَالُنَا فِي كُلِّ مَرْقَى رَقِينَاهُ[6]
٧٢- وَكَمْ نَشَزٍ[7] عَالٍ عَلَتْهُ وُفُودُنَا ... وَتَعْلُو بِهِ الأَصْوَاتُ حِينَ عَلَوْنَاهُ

---

(١) رحماه: الرُّحمى - بالضم - اسم من الرحمة. انظر: لسان العرب ١٢/ ٢٣٠.
(٢) الأغبر: هو المتسخ والمعفر الوجه. انظر: المعجم الوسيط ٢/ ٦٤٣.
(٣) الأشعث: هو المتسخ الرأس. انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٤٧٨.
(٤) زُمت: على البناء للمفعول، أي: شُدَّت. انظر: لسان العرب ١٢/ ٢٧٢.
(٥) حثثناه: من حثَّه يحُثُّه إذا أعجله. انظر: مختار الصحاح ص ١٢٢. وجاء في لسان العرب ٢/ ١٢٩: «الحث: الإعجال في اتصال، وقيل: هو الاستعجال ما كان».
(٦) رقيناه: كرضيناه، أي: صعدناه. انظر: مختار الصحاح ص ٢٥٤، لسان العرب ٤/ ٣٣١، المصباح المنير ١/ ٢٣٦، تاج العروس ١٩/ ٤٧١.
(٧) نشز: النشز المكان المرتفع من الأرض. انظر: النهاية ٥/ ٥٤، لسان العرب ٥/ ٤١٧.

٧٣ـ نَحُجُّ لِبَيْتٍ حَجَّهُ الرُّسْلُ قَبْلَنَا[١] لِنَشْهَدَ نَفْعاً فِي الكِتَابِ وُعِدْنَاهُ[٢]

٧٤ـ دَعَانَا إِلَيْهِ اللَّهُ قَبْلَ بِنَائِهِ فَقُلْنَا لَهُ لَبَّيْكَ دَاعٍ أَجَبْنَاهُ

٧٥ـ أَتَيْنَاكَ لَبَّيْنَاكَ جِئْنَاكَ رَبَّنَا إِلَيْكَ هَرَبْنَا والأَنَامَ تَرَكْنَاهُ

٧٦ـ وَوَجْهَكَ نَبْغِي أَنْتَ للقَلْبِ قِبْلَةٌ إِذَا مَا حَجَجْنَا أَنْتَ للحجِّ رُمْنَاهُ

٧٧ـ فَمَا البَيْتُ[٣] ما الأَرْكَانُ ما الحِجْرُ ما الصَّفَا وَمَا زَمْزَمُ أَنْتَ الذِي قَدْ قَصَدْنَاهُ

٧٨ـ وَأَنْتَ مُنَانَا أَنْتَ غَايَةُ سُولنَا وَأَنْتَ الذِي دُنْيَا وَأُخْرَى أَرَدْنَاهُ

٧٩ـ إِلَيْكَ شَدَدْنَا الرَّحْلَ نَخْتَرِقُ الفَلاَ فَكَمْ سُدَّ سَدٌّ[٤] فِي سَوَادٍ[٥] خَرَقْنَاهُ

---

(١) انظر: في شأن الرسل الذين حجوا إلى بيت الله الحرام مع ذكر بعضهم (ص٤١) حاشية (٤) من منسك الإمام الصنعاني المتقدم على هذه القصيدة.

(٢) يشير رحمه الله تعالى بهذا إلى قوله ﷻ: ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الحج: ٢٨].

ومعنى قوله تعالى: ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ أي: لينالوا ببيت الله منافع دينية، من العبادات الفاضلة، والعبادات التي لا تكون إلا فيه، ومنافع دنيوية، من التكسّب والأرباح الدنيوية، وكل هذا أمر مشاهد لكل من وفقه الله لأداء فريضة الحج.

قال عبد الله بن عباس ﷺ: ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ منافع في الدنيا ومنافع في الآخرة. فأما منافع الآخرة: فرضوان الله ﷻ، وأما منافع الدنيا: فما يصيبون من لحوم البدن في ذلك اليوم، والذبائح والتجارات. الدر المنثور (٧/ ٣٧).

(٣) فما البيت ... إلخ يقول: إن البيت هو مكان الطواف واستلام الحجر وتقبيله، والسعي بين الصفا والمروة، ومكان بئر زمزم هو الذي أردناه.

(٤) السَّدُّ، والسُّدُّ: الجبل والحاجز، وقرئ قوله تعالى: ﴿حتى إذا بلغ بين السدين﴾ بالفتح والضم، وروي عن أبي عبيدة أنه قال: ﴿ بين السدين﴾ مضموم، إذا جعلوه مخلوقاً من فعل الله، وإن كان من فعل الآدميين، فهو سَدٌّ ـ بالفتح ـ. انظر: لسان العرب ٣/ ٢٠٧.

(٥) السواد: من البلدة قراها وعمارتها. انظر: مختار الصحاح ص ٣٢٠، القاموس المحيط ١/ ٣١٥، لسان العرب ٣/ ٢٢٥، المصباح المنير ١/ ٢٩٤.

٨٠ـ كَذَلِكَ مَا زِلْنَا نُحَاوِلُ سَيْرَنَا نَهَاراً وَلَيْلاً عِيسَنَا مَا أَرَحْنَاهُ

٨١ـ إِلَى أَنْ بَدَا إِحْدَى المَعَالِمِ مِنْ مِنًى وَهَبَّ نَسِيمٌ بِالوِصَالِ نَشِقْنَاهُ(١)

٨٢ـ وَنَادَى بِنَا حَادِي البِشَارَةِ وَالهَنَا فَهَذَا الحِمَى هَذَا ثَرَاهُ غَشِينَاهُ(٢)

رُؤْيَةُ البَيْتِ

٨٣ـ وَمَا زَالَ وَفْدُ اللهِ يَقْصِدُ مَكَّةَ إِلَى أَنْ بَدَا البَيْتُ العَتِيقُ وَرُكْنَاهُ

٨٤ـ فَضَجَّتْ(٣) ضُيُوفُ اللهِ بالذِّكْرِ وَالدُّعَا وَكَبَّرَتِ الحُجَّاجُ حِينَ رَأَيْنَاهُ

٨٥ـ وقَدْ كَادَتِ الأَرْوَاحُ تَزْهَقُ فَرْحَةً لِمَا نَحْنُ مِنْ عُظْمِ السُّرُورِ وَجَدْنَاهُ

٨٦ـ تُصَافِحُنَا الأَمْلاكُ مَنْ كَانَ رَاكِباً(٤) وتَعْتَنِقُ المَاشِي إذَا تَتَلَقَّاهُ

طَوَافُ القُدُومِ

٨٧ـ فَطُفْنَا بِهِ سَبْعاً رَمَلْنَا(٥) ثَلاثَةً وَأَرْبَعَةً مَشْياً كَمَا قَدْ أُمِرْنَاهُ

٨٨ـ كَذَلِكَ طَافَ الهَاشِمِيُّ مُحَمَّدٌ طَوَافَ قُدُومٍ مِثْلَ مَا طَافَ طُفْنَاهُ

٨٩ـ وَسَالَتْ دُمُوعٌ مِنْ غَمَامِ جُفُونِنَا عَلَى مَا مَضَى مِنْ إِثْمِ ذَنْبٍ كَسَبْنَاهُ

---

(١) نشقناه: أي: شممناه. انظر: لسان العرب ١٠/ ٣٥٣.

(٢) غشيناه: كرضيناه، أي: دخلناه. انظر: تاج العروس ٢٠/ ١٧.

(٣) فضجت: أي: صاحت. انظر: المصباح المنير ٢/ ٣٥٨.

(٤) من كان راكباً: بدل من ضمير المتكلم مع الغير.

(٥) الرَّمَلُ: إسراعُ المشي مع مقاربة الخطو من غير وثب، وهو سنة في الأشواط الثلاثة الأول من طواف القدوم، بلا خلاف بين أهل العلم. انظر: المغني لابن قدامة ٣/ ٣٧٣، فتح الباري ٣/ ٤٧٠.

٩٠ـ وَنَحْنُ ضُيُوفُ اللهِ جِئْنَا لِبَيْتِهِ ... نُرِيدُ القِرَى[١] نَبْغِي مِنَ اللهِ حُسْنَاهُ

٩١ـ فَنَادَى بِنَا أَهْلاً ضُيُوفِي تَبَاشَرُوا ... وَقَرُّوا عُيُوناً فالحَجِيجُ[٢] قَبِلْنَاهُ

٩٢ـ غداً تَنْظُرُونِي[٣] فِي جِنَانِ خُلُودِكُمْ ... وذَاكَ قِرَاكُمْ[٤] مَعْ نَعِيم ذَخَرْنَاهُ

٩٣ـ فَأَيُّ قِرًى يَعْلُو قِرَانَا لِضَيْفِنَا ... وَأَيُّ ثَوَابٍ مِثْلَ مَا قَدْ أَثَبْنَاهُ

٩٤ـ وَكُلُّ مُسِيءٍ قَدْ أَقَلْنَا عِثَارَهُ ... ولاَ وِزْرَ إلاَّ عَنْكُمُ قَدْ وَضَعْنَاهُ

٩٥ـ ولاَ نَصَبٌ إلاَّ وَعِنْدِي جَزَاؤُهُ ... وكُلُّ الذِي أَنْفَقْتُمُوهُ حَسَبْنَاهُ[٥]

٩٦ـ سَأُعْطِيكُمُ أَضْعَافَ أَضْعَافَ مِثْلِهِ ... فَطِيبُوا نُفُوساً فَضْلنَا قَدْ فَضِلْنَاهُ

٩٧ـ فَيَا مَرْحَبًا بِالقَادِمِينَ لِبَيْتِنَا ... إلَيَّ حَجَجْتُمْ لاَ لِبَيْتٍ بَنَيْنَاهُ

٩٨ـ عَلَيَّ الجَزَا مِنِّي المَثُوبَةُ والرِّضَى ... ثَوَابكُمُ يَوْمَ الجَزَا أَتَوَلاَّهُ

٩٩ـ فَطِيبُوا سُرُوراً وافْرَحُوا وَتَبَاشَرُوا ... وَتِيهُوا[٦] وهِيمُوا[٧] بَابَنَا قَدْ فَتَحْنَاهُ

١٠٠ـ وَلاَ ذَنْبَ إلاَّ قَدْ غَفَرْنَاهُ عَنْكُمُ ... وَمَا كَانَ مِنْ عَيْبٍ عَلَيْكُمْ سَتَرنَاهُ

١٠١ـ فَهَذَا الذِي نِلْنَا بِيَوْم قُدُومِنَا ... وَأَوَّلُ ضِيقٍ للصُّدُورِ شَرَحْنَاهُ

---

(١) القرى: بالكسر ما قرى به الضيف. انظر: لسان العرب ١٥/ ١٧٩، تاج العروس ٢٠/ ٧١.

(٢) الحجيج: كأمير اسم جمع، أو اسم جنس جمعي، والمعنى: قبل الله حجهم.

(٣) تنظروني: محذوف الصلة، أي: تنظرون إلي.

(٤) تقدم بيان معنى هذه الكلمة في حاشية رقم: ١ .من هذه الصفحة.

(٥) حسبناه: أي: أحصيناه عدداً. انظر: مختار الصحاح ص ١٣٤ ـ ١٣٥، لسان العرب ١/ ٣١٣، المصباح المنير ١/ ١٣٤.

(٦) تيهوا: فعل أمر من تاه يتيه إذا ذهب متحيراً. انظر: لسان العرب ١٣/ ٤٨٢.

(٧) هيموا: أمر من هام يهيم هَيماً وهَيَمَاناً إذا ذهب على وجهه. انظر: لسان العرب ١٢/ ٦٢٦، المصباح المنير ٢/ ٦٤٥.

المبيت بمنى والمسير إلى عرفات

١٠٢ـ وَبِتْنَا بِأَقْطَارِ المُحَصَّبِ[1] مِنْ مِنًى فَيَا طِيبَ لَيْلٍ بِالمُحَصَّبِ بِتْنَاهُ
١٠٣ـ وفِي يَوْمِنَا سِرْنَا إِلَى الجَبَلِ الذِي مِنَ البُعْدِ جِئْنَاهُ لَمَّا قَدْ وَجَدْنَاهُ
١٠٤ـ فَلاَ حَجَّ إِلاَّ أَنْ نَكُونَ بِأَرْضِهِ وُقُوفاً وَهَذَا فِي الصَّحِيحِ رَوَيْنَاهُ[2]
١٠٥ـ إِلَيْهِ ابْتَدَرْنَا قَاصِدِينَ إِلَهَنَا فَلَوْلاَهُ مَا كُنَّا الحَجَّ سَلَكْنَاهُ
١٠٦ـ وَسِرْنَا إِلَيْهِ قَاصِدِينَ وُقُوفَنَا عَلَيْهِ وَمِنْ كُلِّ الجِهَاتِ أَتَيْنَاهُ
١٠٧ـ عَلَى عَلَمَيْهِ لِلْوُقُوفِ جَلاَلَةٌ فَلاَ زَالَتَا تُحْمَى وَتُحْرَسُ أَرْجَاهُ[3]
١٠٨ـ وَبَيْنَهُمَا جُزْنَا إِلَيْهِ بِزُحْمَةٍ[4] فَيَا طِيبَهَا لَيْتَ الزِّحَامَ رَجَعْنَاهُ
١٠٩ـ وَلَمَّا رَأَيْنَاهُ تَعَالَى عَجِيجُنَا[5] نُلَبِّي وبِالتَّهْلِيلِ مِنَّا مَلأْنَاهُ
١١٠ـ وَفِيهِ نَزَلْنَا بُكْرَةً بِذُنُوبِنَا وَمَا كَانَ مِنْ ثِقْلِ المَعَاصِي حَمَلْنَاهُ

---

(١) تقدم تفسيره ص ٩، الحاشية: ١١.

(٢) يشير رحمه الله تعالى إلى قوله ﷺ: «الحج عرفة». أخرجه أبو داود برقم (١٩٤٩)، والترمذي برقم (٨٨٩)، عن نفر من أهل نجد وهو حديث صحيح.

(٣) أرجاه: أي: أطرافه ونواحيه محذوف اللام. انظر: لسان العرب ١٤/ ٣١٠.

(٤) بزحمة: بالضم ـ من زحم يزحم مفتوح العين فيهما معناه بزحام. انظر: لسان العرب ١٢/ ٢٦٢.

(٥) عجيجنا: العجيج: الصوت المرتفع. انظر: النهاية ٣/ ١٨٤، لسان العرب ٢/ ٣١٨.

الوقوف بعرفة

١١١ـ وَبَعْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ كَانَ وَقُوفُنَا إِلَى اللَّيْلِ نَبْكِي والدُّعَاءَ أَطَلْنَاهُ
١١٢ـ فَكَمْ حَامِدٍ كَمْ ذَاكِرٍ ومُسَبِّحٍ وكَمْ مُذْنِبٍ يَشْكُو لِمَوْلاَهُ بَلْوَاهُ
١١٣ـ فَكَمْ خَاضِعٍ كَمْ خَاشِعٍ مُتَذَلِّلٍ وَكَمْ سَائِلٍ مُدَّتْ إِلَى اللهِ كَفَّاهُ
١١٤ـ وَسَاوَى عَزِيزٌ فِي الوُقُوفِ ذَلِيلَنَا وَكَمْ ثَوْبِ عِزٍّ فِي الوُقُوفِ لَبِسْنَاهُ
١١٥ـ وَرَبٌّ دَعَانَا نَاظِرٌ لِخُضُوعِنَا خَبِيرٌ عَلِيمٌ بالـذِي قَدْ أَرَدْنَاهُ
١١٦ـ وَلَمَّا رَأَى تِلْكَ الدُّمُوعَ التِي جَرَتْ وَطُولَ خُشُوعٍ مَعْ خُضُوعٍ خَضَعْنَاهُ
١١٧ـ تَجَلَّى عَلَيْنَا بِالمَتَابِ وبِالرِّضَى وَبَاهَى بِنَا الأَمْلاَكَ حِينَ وَقَفْنَاهُ(١)
١١٨ وَقَالَ انْظُرُوا شعْثاً(٢) وَغُبْراً(٣) جُسُومُهُمْ أَجِرْنَا أَغِثْنَا يَا إِلَهاً دَعَوْنَاهُ
١١٩ـ وَقَدْ هَجَرُوا أَمْوَالَهُمْ ودِيَارَهُمْ وَأَوْلاَدَهُمْ وَالكُلُّ يَرْفَعُ شَكْوَاهُ
١٢٠ـ إِلَيَّ فَإِنِّي رَبُّهُمْ وَمَلِيكُهُمْ لِمَنْ يَشْتَكِي المَمْلُوكُ إِلاَّ لِمَوْلاَهُ

---

(١) يشير رحمه الله إلى ما أخرجه الحاكم في المستدرك١/ ٤٦٥، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يباهي بأهل عرفات أهل السماء، فيقول لهم: انظروا إلى عبادي جاءوني شعثاً غبراً»، وقال عقبه: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) شعثا: الأشعث هو المتسخ الرأس. انظر: النهاية ٢/ ٤٧٨، ترتيب القاموس ٢/ ٧١٨، وجاء في لسان العرب ٢/ ١٦٠: «والشعث المغبر الرأس، المتنتف الشعر الجاف الذي لم يدَّهن».

(٣) غبرا: الأغبر: المتسخ والمعفر وجهه. انظر: المعجم الوسيط ٢/ ٦٤٣.

١٢١ـ ألا فَاشْهَدُوا أَنِّي غَفَرْتُ ذُنُوبَهُمْ[١] ... ألا فَانْسَخُوا[٢] مَا كَانَ عَنْهُمْ نَسَخْنَاهُ
١٢٢ـ فَقَدْ بُدِّلَتْ تِلْكَ المَسَاوِي مَحَاسِناً ... وَذَلِكَ وَعْدٌ مِنْ لَدُنَّا وَعَدْنَاهُ
١٢٣ـ فَيَا صَاحِبِي مَنْ مِثْلُنَا فِي مَقَامِنَا ... وَمَنْ ذَا الذِي قَدْ نَالَ مَا نَحْنُ نِلْنَاهُ
١٢٤ـ عَلَى عَرَفَاتٍ قَدْ وَقَفْنَا بِمَوْقِفٍ ... بِهِ الذَّنْبُ مَغْفُورٌ وَفِيهِ مَحَوْنَاهُ
١٢٥ـ وَقَدْ أَقْبَلَ البَارِي عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ ... وَقَالَ: ابْشِرُوا فَالعَفْوُ فِيكُمْ نَشَرْنَاهُ
١٢٦ـ وعَنْكُمْ ضَمِنَّا[٣] كُلَّ تَابِعَةٍ جَرَتْ ... عَلَيْكُمْ وَأَمَّا حَقُّنَا فَوَهَبْنَاهُ

---

(١) اقتبس هذا البيت إلى نهاية سبعة أبيات بعده من حديث رواه أبو يعلى في مسنده ٧/ ١٤٠ـ١٤١، برقم: (٤١٠٦)، وذكره الحافظ في المطالب العالية برقم: (١١٧٩، ١١٨٠)، وعزاه إلى أبي يعلى، وأحمد بن منيع عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تطوَّل على أهل عرفات يباهي بهم الملائكة يقول: يا ملائكتي انظروا إلى عبادي شعثاً غبراً أقبلوا يضربون إليَّ من كل فج عميق، فأشهدكم أني قد أجبت دعاءهم، وشفعت رغبتهم، ووهبت مسيئهم لمحسنهم، وأعطيت محسنيهم جميع ما سألوني غير التبعات التي بينهم فإذا أفاض القوم إلى جمع، ووقفوا، وعادوا في الرغبة، والطلب إلى الله، فيقول: يا ملائكتي عبادي وقفوا، فعادوا في الرغبة والطلب، فأشهدكم أني قد أجبت دعاءهم وشفعت رغبتهم، ووهبت مسيئهم لمحسنهم، وأعطيت محسنيهم جميع ما سألوني وكفلت عنهم التبعات التي بينهم».
وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٢٥٧، باب فضيلة الوقوف بعرفة والمزدلفة، وقال عقبه: «رواه أبو يعلى، وفيه صالح المري، وهو ضعيف»، لكن يشهد له حديث جابر عند أبي يعلى ٤/ ٦٩ـ٧٠، برقم: (٢٠٩٠)، وحديث أبي هريرة عند مسلم برقم: (١٣٤٨)، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، والنسائي ٥/ ٢٥١، باب: ما ذكر في يوم عرفة.
ومعنى تطول: من التطول وهو التفضل ورفع النفس.

(٢) فانسخوا: أي: أزيلوا وامحوا. انظر: القاموس ١/ ٢٨١، لسان العرب ٣/ ٦١، مختار الصحاح ص ٦٥٦، المصباح المنير ٢/ ٦٠٢ـ٦٠٣.

(٣) ضمنَّا: أي: ما ضيعتم من حقوق العباد، فنحن نرضيهم عنكم، ولا نحمل عليكم من سيئاتهم بما ضيعتم من حقوقهم، كما هو سنتنا في غيركم. انظر في معنى: (ضمن): القاموس المحيط ٤/ ٢٤٥، لسان العرب ١٣/ ٢٥٧، تاج العروس ١٨/ ٣٤٧ـ٣٥٠.

١٢٧ـ أَقَلْنَاكُمُ(١) مِنْ كُلِّ مَا قَدْ جَنَيْتُمُ	وَمَا كَانَ مِنْ عُذْرٍ لَدَيْنَا عَذَرْنَاهُ
١٢٨ـ فَيَا مَنْ أَسَا يَا مَنْ عَصَى لَوْ رَأَيْتَنَا	وَأَوْزَارُنَا تُرْمَى وَيَرْحَمُنَا اللهُ
١٢٩ـ وَدِدْتَ بِأَنْ لَوْ كُنْتَ بَيْنَ رِحَالِنَا	وَتَرْجُو رَحِيماً كُلُّنَا يَتَرَجَّاهُ
١٣٠ـ وَقَفْنَا لَدَيْهِ تَائِبِينَ مِنَ الخَطَا	وَغُفْرَانَنَا مِنْ رَبِّنَا قَدْ طَلَبْنَاهُ
١٣١ـ أُمِرْنَا بِحُسْنِ الظَّنِّ وَاللهُ حَثَّنَا	عَلَيْهِ وَهَذَا فِي الحَدِيثِ رَوَيْنَاهُ(٢)
١٣٢ـ عَلَيْهِ اتَّكَلْنَا وَاطْمَأَنَّتْ قُلُوبُنَا	لِمَا عِنْدَهُ مِنْ وُسْعِ عَفْوٍ عَرَفْنَاهُ
١٣٣ـ فَطُوبَى لِمَنْ ذَاكَ المَقَامُ مَقَامُهُ	وَبُشْرَاهُ فِي يَوْمِ التَّغَابُنِ(٣) بُشْرَاهُ
١٣٤ـ تَرَى مَوْقِفاً فِيهِ الخَزَائِنُ فُتِّحَتْ	وَأَوْلَى(٤) عَلَيْنَا اللهُ مِنْهُ عَطَايَاهُ
١٣٥ـ فَصَالِحَ مَهْجُوراً وَأَقْرَبَ مُبْعَداً	وَذَاكَ مَقَامُ الصُّلْحِ للصُّلْحِ قُمْنَاهُ
١٣٦ـ وَدَارَ عَلَيْنَا الكَأْسُ بِالفَضْلِ وَالرِّضَى	سُقِينَا شَرَاباً مِثْلَهُ مَا سُقِينَاهُ
١٣٧ـ فَإِنْ شِئْتَ تُسْقَى مَا سُقِينَا عَلَى الحِمَى	فَخَلِّ الوَنَى(٥) وَاقْصِدْ مَقَاماً قَصَدْنَاهُ
١٣٨ـ وَفِيهِ بَسَطْنَا للرَّحِيلِ كُفُوفَنَا	فَقَالَ كُفِيتُمْ عَفْوَنَا قَدْ بَسَطْنَاهُ

(١) أقلناكم: أي: عفونا وصفحنا عنكم. انظر: في معنى الإقالة النهاية ٤/ ١٣٤، لسان العرب ١١/ ٥٧٩ـ٥٨٠، تاج العروس ١٥/ ٦٤٤، وما بعدها.

(٢) يشير بهذا البيت إلى قوله ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن»، أخرجه مسلم برقم (٢٨٧٧)، من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) يوم التغابن: هو يوم البعث سمي به لأن أهل الجنة تغبن فيه أهل النار بما يصير إليه أهل الجنة من النعيم، ويلقى فيه أهل النار من العذاب، ويغبن من ارتفعت منزلته في الجنة، من كان دون منزلته، وسئل الحسن عن قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ فقال: غبن أهل الجنة أهل النار، أي: استنقصوا عقولهم باختيارهم الكفر على الإيمان. اهـ من تاج العروس ١٨/ ٤١٤.

(٤) وأولى: دعاء منه رحمه الله بمعنى: جَعَلَنا والين لعطاياه. انظر: تاج العروس ٢٠/ ٣١٤.

(٥) الونى: كالفتى والمراد: التعب. جاء في مختار الصحاح ص ٧٣٧: «الونى: الضعف والفتور، والكلال، والإعياء، يقال: ونى في الأمر يني بالكسر، (ونًى)، و(وَنْياً) أي: ضعف، فهو وانٍ». انظر: لسان العرب ١٥/ ٤١٥، تاج العروس ٢٠/ ٣١٧.

١٣٩ـ وَأَعْتَقَنَا كُلاًّ وَأَهْدَرَ مَا مَضَى   وقَالَ لَنَا كُلَّ العِتَابِ طَوَيْنَاهُ

ذكر خزي إبليس اللعين

١٤٠ـ فَإِبْلِيسُ مَغْمُومٌ لِكَثْرَةِ مَا يَرَى   مِنَ العِتْقِ مَحْقُوراً ذَلِيلاً دَحَرْنَاهُ

١٤١ـ عَلَى رَأْسِهِ يَحْثُو التُّرَابَ مُنَادِياً   بِأَعْوَانِهِ: وَيْلاَهُ ذَا اليَوْمَ وَيْلاَهُ[1]

١٤٢ـ وَأَظْهَرَ مِنَّا حَسْرَةً وَنَدَامَةً   وَكُلَّ بِنَاءٍ قَدْ بَنَاهُ هَدَمْنَاهُ

١٤٣ـ تَرَكْنَاهُ يَبْكِي بَعْدَمَا كَانَ ضَاحِكاً   فَكَمْ مُذْنِبٍ مِنْ كَفِّهِ قَدْ سَلَلْنَاهُ[2]

١٤٤ـ وَكَمْ أَمَلٍ نِلْنَاهُ يَوْمَ وُقُوفِنَا   وَكَمْ مِنْ أَسِيرٍ لِلْمَعَاصِي فَكَكْنَاهُ

١٤٥ـ وَكَمْ قَدْ رَفَعْنَا لِلإِلَهِ مَطَالِباً   وَلاَ أَحَداً مِمَّنْ نُحِبُّ نَسِينَاهُ[3]

---

(١) يشير رحمه الله تعالى بهذين البيتين إلى حديث رواه الطبراني كما في مجمع الزوائد ٣/ ٢٥٦ـ٢٥٧، باب فضيلة الوقوف بعرفة والمزدلفة، وهو من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم عرفة: «أيها الناس إن الله عز وجل يطوَّل عليكم في هذا اليوم فغفر لكم إلا التبعات فيما بينكم»، وفيه: «وإبليس وجنوده على جبل عرفات ينظرون ما يصنع الله بهم فإذا نزلت المغفرة دعا هو وجنوده بالويل يقول: كنت أستفزهم حقباً من الدهر، ثم جاءت المغفرة فغشيتهم، فيتفرقون وهم يدعون بالويل والثبور»، قال الهيثمي عقبه: «رواه الطبراني في الكبير، وفيه راو لم يسم، وبقية رجاله رجال الصحيح»، وانظر في معناه حديث مرسل من رواية طلحة بن عبيد الله بن كَريز في الموطأ برقم: (٢٤٥) من كتاب الحج، ومصنف عبد الرزاق برقم: (٨١٧٨)، والبغوي في شرح السنة برقم: (١٩٣٠)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم: (٤٠٦٩).

(٢) سللناه: أي: نزعناه وأخرجناه. انظر: لسان العرب ١١/ ٣٣٨.

(٣) نسيناه: أي: ما نسينا أحداً من أحبابنا من إشراكه في دعائنا في موقفنا بأرض عرفة.

١٤٦ـ وخُصِّصَتِ الآبَاءُ وَالأَهْلُ بِالدُّعَا — وَكَمْ صَاحِبٍ دَانٍ[١] وَنَاءٍ[٢] ذَكَرْنَاهُ
١٤٧ـ كَذَا فَعَلَ الحُجَّاجُ هَاتِيكَ عَادَةً — وَمَا فَعَلَ الحُجَّاجُ فِيهِ فَعَلْنَاهُ
١٤٨ـ وَظَلَّ إِلَى وَقْتِ الغُرُوبِ وُقُوفُنَا — وَقِيلَ ادْفَعُوا فَالكُلَّ مِنْكُمْ قَبِلْنَاهُ

الإفاضة والمبيت بمزدلفة وذكر الله عند المشعر

١٤٩ـ أَفِيضُوا[٣] وَأَنْتُمْ حَامِدُونَ إِلَهَكُمْ — إِلَى مَشْعَرٍ[٤] جَاءَ الكِتَابُ بِذِكْرَاهُ[٥]
١٥٠ـ وَسِيرُوا إِلَيْهِ وَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَهُ — فَسِرْنَا وَفِي وَقْتِ العِشَاءِ نَزَلْنَاهُ
١٥١ـ وَفِيهِ جَمَعْنَا مَغْرِباً وَعِشَاءَهَا[٦] — تَرَى[٧] عَائِداً جَمْعاً لِجَمْعٍ جَمَعْنَاهُ
١٥٢ـ وَبِتْنَا بِهِ حَتَّى لَقَطْنَا جِمَارَنَا[٨] — وَرَبّاً شَكَرْنَاهُ عَلَى مَا هَدَانَاهُ

---

(١) دان: أي: قريب . انظر: لسان العرب ١٤/ ٢٧١.
(٢) ناء: أي: بعيد. انظر: لسان العرب ١٥/ ٣٠٠ـ٣٠١.
(٣) أفيضوا: أي: ادفعوا وكل دفعة إفاضة. انظر: القاموس المحيط ٢/ ٣٥٣.
(٤) مشعر: المشعر اسم ظرف مأخوذ من الشعار بالكسر، وشعائر الحج مناسكه وعلاماته، وآثاره، وأعماله، وكل ما جعل عَلَماً لطاعة الله عز وجل كالوقوف والطواف، والسعي والرمي، والذبح، وغير ذلك فالمشعر موضعها. انظر: المفردات في غريب القرآن ص ٢٦٢، القاموس المحيط ٢/ ٦١، لسان العرب ٤/ ٤١٤.
(٥) يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨] فهذه الآية جاء فيها ذكر المشعر الحرام، وهو المزدلفة.
(٦) تأسيا بالنبي ﷺ حيث أخر صلاة مغرب يوم عرفة وصلاها في مزدلفة مع العشاء جمع تأخير بأذان واحد وإقامتين. انظر: صحيح مسلم(٢/ ٨٩١، وسنن أبي داود ٢/ ٤٦٢-٤٦٣، وسنن ابن ماجة ٢/ ١٠٢٦، وسنن الدارمي ٢/ ٤٨ -باب: في سنة الحاج-.
(٧) ترى: أي: هل تعلم، أي: حدث نفسك هل تعود مرة أخرى إلى هذا الموقف الذي جمعت فيه العشائين، أو أن هذا جمعك الآخر؛ وفي هذا إشارة منه إلى أنه مثل هذا الجمع لا يجوز إلا في هذا الموقف.
(٨) يقصد بالجمار في هذه اللفظة: الحصيات التي تلتقط لرمي جمرة العقبة يوم النحر . انظر: مختار الصحاح ص١٠٩، لسان العرب ٤/ ١٤٦.

١٥٣ـ وَمِنْهُ أَفَضْنَا حَيْثُمَا النَّاسُ قَبْلَنَا أَفَاضُوا وَغُفْرَانَ الإِلَهِ طَلَبْنَاهُ

نزول منى والرمي والحلق والنحر

١٥٤ـ وَنَحْوَ مِنًى مِلْنَا بِهَا كَانَ عِيدُنَا وَنِلْنَا بِهَا مَا القَلْبُ كَانَ تَمَنَّاهُ

١٥٥ـ فَمَنْ مِنْكُمُ بِاللهِ عَيَّدَ عِيدَنَا فَعِيدُ مِنًى رَبُّ البَرِيَّةِ أَعْلاهُ

١٥٦ـ وَفِيهِ رَمَيْنَا للعِقَابِ(١) جِمَارَنَا وَلاَ جُرْمَ إِلاَّ مَعْ جِمَارٍ رَمَيْنَاهُ

١٥٧ـ وَبِالجَمْرَةِ(٢) القُصْوَى بَدَأْنَا وَعِنْدَهَا حَلَقْنَا وَقَصَّرْنَا لِشَعْرٍ حَضَرْنَاهُ

١٥٨ـ وَلَمَّا حَلَقْنَا حَلَّ لُبْسُ مَخِيطِنَا فَيَا حِلْقَةً مِنْهَا المَخِيطُ لَبِسْنَاهُ

١٥٩ـ وَفِيهَا نَحَرْنَا الهَدْيَ طَوْعاً لِرَبِّنَا وَإِبْلِيسَ لَمَّا أَنْ نَحَرْنَا نَحَرْنَاهُ

١٦٠ وَمِنْ بَعْدِهَا يَوْمَانِ لِلرَّمْيِ عَاجِلاً(٣) فَفِيهَا رَمَيْنَا وَالإِلَهَ دَعَوْنَاهُ

---

(١) للعقاب: بالكسر جمع: عَقَبَة، والعقبة: واحدة عقبات الجبال. انظر: القاموس المحيط ١/ ١١٠، لسان العرب ١/ ٦٢١. ومراد الصنعاني هنا (جمرة العقبة).

(٢) بالجمرة: هي واحدة جمرات المناسك وجمارها، وموضع الجمار بمنى سمي جمرة لأنه يرمى بالجمار وقيل: لأنه مجمع الحصى التي يرمى بها مأخوذ من الجمرة، وهي اجتماع القبيلة على من عاداها. انظر: القاموس المحيط ١/ ٤٠٧، لسان العرب ٤/ ١٤٧، المصباح المنير ١/ ١٠٨.

(٣) يشير رحمه الله تعالى إلى قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. ففي هذه الآية أخبر تعالى بأن من خرج من مِنى ونفر منها قبل غروب شمس اليوم الثاني من أيام التشريق، وهو اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ﴾ بأن بات بها ليلة الثالث عشر من شهر ذي الحجة ورمى من الغد ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ وهذا تخفيف من الله تعالى على عباده في إباحة كلا الأمرين، ولكن من المعلوم أنه إذا أبيح كلا الأمرين فالمتأخر أفضل، لأنه أكثر عبادة، ولما كان نفي الحرج قد يفهم منه نفي الحرج في ذلك المذكور، وفي غيره، والحال أن الحرج منفي عن المتقدم، والمتأخر فقط قيده بقوله: ﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ أي: اتقى الله في جميع أموره، وأحوال الحج، فمن اتقى الله في كل شيء، حصل له نفي الحرج في كل شيء، ومن اتقاه في شيء دون شيء كان الجزاء من جنس العمل. انتهى من تيسير الكريم الرحمن ١/ ١٥٣.

١٦١ــ وَإِيَّاهُ أَرْضَيْنَا بِرَمْيِ جِمَارِنَا ... وَشَيْطَانَنَا الْمَرْجُومَ ثَمَّ رَجَمْنَاهُ
١٦٢ــ وَبِالْخَيْفِ(١) أَعْطَانَا الإِلَهُ أَمَانَنَا ... وَأَذْهَبَ عَنَّا كُلَّ مَا نَحْنُ نَخْشَاهُ

النفر من منى

١٦٣ــ وَرُدَّتْ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ وُفُودُنَا ... نَحِنُّ(٢) لَهُ كَالطَّيْرِ حَنَّ لِمَأْوَاهُ
١٦٤ــ وَطُفْنَا طَوَافًا لِلإِفَاضَةِ حَوْلَهُ ... وَفُزْنَا بِهِ بَعْدَ الْجِمَارِ وَزُرْنَاهُ
١٦٥ــ وَمِنْ بَعْدِ مَا زُرْنَا دَخَلْنَاهُ دَخْلَةً ... كَأَنَّا دَخَلْنَا الْخُلْدَ حِينَ دَخَلْنَاهُ
١٦٦ــ وَنِلْنَا أَمَانَ اللهِ عِنْدَ دُخُولِهِ ... كَذَا أَخْبَرَ الْقُرْآنُ فِيمَا قَرَأْنَاهُ(٣)
١٦٧ــ فَيَا مَنْزِلاً قَدْ كَانَ أَبْرَكَ مَنْزِلٍ ... نَزَلْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَبَيْتاً وَطَأْنَاهُ
١٦٨ــ تُرَى حَجَّةٌ أُخْرَى إِلَيْهِ وَدَخْلَةٌ ... وَهَذَا عَلَى رَبِّ الْوَرَى نَتَمَنَّاهُ(٤)
١٦٩ــ فَإِخْوَانَنَا(٥) مَا كَانَ أَحْلَى دُخُولَنَا ... إِلَيْهِ وَلُبْثًا فِي ذُرَاهُ(٦) لَبِثْنَاهُ

---

(١) بالخيف: الخيف: ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء والمراد هنا خيف منى. انظر: لسان العرب ٩/ ١٠٣.
(٢) نحنُّ: فعل مضارع من الحنين. تقدم معناه ص١٢، حاشية: ١.
(٣) يشير بهذا إلى قوله تعالى: ﴿ومن دخله كان آمنا﴾ [آل عمران: ٩٧].
(٤) لقد حقق الله أمنيته، ووفقه للحج ثلاث مرات بعد حج الفريضة.
(٥) فإخوانَنا: منصوب بحرف نداء محذوف.
(٦) ذُراه: بالفتح: كنفه وستره، وبالضمِّ جمع ذِرْوةٍ بكسر الذال وضمها أعاليه. انظر: لسان العرب ١٤/ ٢٨٤.

طواف الإفاضة

١٧٠ـ نَطُوفُ بِهِ وَاللهُ يُحْصِي طَوَافَنَا لِيُسْقِطَ عَنَّا مَا نَسِينَا وَأَحْصَاهُ

١٧١ـ وَبِالحَجَرِ المَيْمُونِ عُجْنَا[1] فَإِنَّهُ لِرَبِّ السَّمَا وَالأَرْضِ لِلخَلْقِ يُمْنَاهُ[2]

١٧٢ـ نُقَبِّلُهُ مِنْ حُبِّنَا لإِلَهِنَا وَكَمْ لَثْمَةً[3] طَيَّ الطَّوَافِ لَثَمْنَاهُ

١٧٣ـ وَذَاكَ لَنَا يَوْمَ القِيَامَةِ شَاهِدٌ وَفِيهِ لَنَا اللهِ عَهْدٌ عَهِدْنَاهُ

١٧٤ـ وَنَسْتَلِمُ[4] الرُّكْنَ اليَمَانِيَّ طَاعَةً وَنَسْتَغْفِرُ المَوْلَى إِذَا مَا لَمَسْنَاهُ

١٧٥ـ وَمُلْتَزَمٌ[5] فِيهِ الْتَزَمْنَا لِرَبِّنَا عُهُوداً وَعُقْبَى اللهِ فِيهِ لَزِمْنَاهُ

١٧٦ـ وَكَمْ مَوْقِفٍ فِيهِ يُجَابُ لَنَا الدُّعَا دَعَوْنَا بِهِ وَالقَصْدَ فِيهِ نَوَيْنَاهُ

---

(١) عُجْنا: كقلنا، أي: أقمنا يكون لازماً ومتعديا. انظر: لسان العرب ٢/ ٣٣٣، تاج العروس ٣/ ٤٤٣.

(٢) يشير بهذا البيت إلى حديث ضعيف ورد في هذا المعنى ونصه: «الحجر يمين الله في الأرض يصافح به عباده». أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ٦/ ٣٢٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٢/ ٢١٧، برقم: (١٠٩٩٣)، وهو حديث ضعيف، انظر: ضعيف الجامع الصغير ص ٤٠٩، برقم: (٢٧٧٢)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة ١/ ٣٩٠ـ٣٩٣، برقم: (٢٢٣).

(٣) لثمة: تقبيلة. انظر: لسان العرب ١٢/ ٥٣٤.

(٤) نستلم: من قولهم استلم الحجر أي: لمسه إما بالقبلة أو باليد ولا يهمز، وبعضهم يهمزه. انظر: لسان العرب ١٢/ ٢٩٧ـ٢٩٨.

(٥) ملتزَم: الملتزم هو ما بين الركن والباب، قال الأرزني: وذرعه أربعة أذرع، ويقال له أيضاً: المدعى موضع الدعاء. انظر: المصباح المنير ٢/ ٥٥٣، تاج العروس ١٧/ ٦٤٩.

الصلاة بالمقام والشرب من زمزم والسعي

١٧٧ـ وَصَلَّى بِأَرْكَانِ المَقَامِ(١) حَجِيجُنَا ... وَفِي زَمْـزَمٍ مَـاءً طَهُـوراً وَرَدْنَـاهُ

١٧٨ـ وَفِيهِ الشِّفَا فِيهِ بُلُوغُ مُرَادِنَا ... لِمَا نَحْنُ نَنْوِيهِ إِذَا مَا شَرِبْنَاهُ(٢)

١٧٩ـ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ الوَفْدُ قَدْ سَعَى ... فَإِنَّ تَمَامَ الحَجِّ تَكْمِيلُ مَسْعَاهُ

١٨٠ـ فَسَبْعاً(٣) سَعَاهَا سَيِّدُ الرُّسْلِ قَبْلَنَا ... وَنَحْنُ تَبِعْنَاهُ فَسَبْعاً سَعَيْنَاه

١٨١ـ نُهَرْوِلُ(٤) فِي أَثْنَائِهَا كُلَّ مَرَّةٍ ... فَهَذَاكَ مِنْ فِعْلِ الرَّسُولِ(٥) فَعَلْنَاهُ

تمام الحج والتحلل الثاني

١٨٢ـ وَبَعْدَ تَمَامِ الحَجِّ وَالنُّسْكِ كُلِّهَا ... حَلَلْنَا وَبَاقِي عِيسِنَا قَدْ أَنَخْنَاهُ

١٨٣ـ فَمَنْ شَاءَ وَافَى الصَّيْدَ وَالطِّيبَ وَالنِّسَا ... فَقَدْ تَمَّ حَجٌّ لِلإِلَهِ حَجَجْنَاهُ

---

(١) هذه الصلاة التي أشار إليها هنا هي صلاة الركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام ويكونان عقب الطواف بالبيت وصلاتهما سنة لكل طائف بالبيت يقرأ فيهما بعد الفاتحة بسورتي الإخلاص ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ و ﴿قل هو الله أحد﴾.

(٢) يشير بهذا إلى قوله ﷺ: «ماء زمزم لما شرب له». أخرجه ابن ماجه ٢/ ١٠١٧، برقم: (٣٠٦٢)، من حديث جابر رضي الله عنه، وهو حديث صحيح. انظر: صحيح سنن ابن ماجه برقم: (٢٥٠٢).

(٣) سبعاً: أي: سبع سعيات من الصفا إلى المروة سعية، ومن المروة إلى الصفا ثانية.

(٤) نهرول: الهرولة: بين العدو والمشي، وقيل: الهرولة بعد العَنَق، وقيل: الهرولة الإسراع في المشي مع هز المنكبين. انظر: لسان العرب ١١/ ٦٩٥ـ٦٩٦.

(٥) انظر: هديه ﷺ في سعيه بين الصفا والمروة وما أثر عنه فيه من قول أو فعل. صحيح مسلم (٢/ ٨٨٨) برقم(١٢١٨)، سنن أبي داود (٢/ ٤٥٩-٤٦٠)، برقم(١٩٠٥)، وهو من حديث جابر رضي الله عنه وانظر: حجة المصطفى ﷺ لمحب الدين الطبري (ص٢٨).

١٨٤ـ وَلَـمَّا اعْتَمَرْنَا كَانَ أَبْـرَكُ عُمْرِنَـا　　زَمَانَــا نَــرَاهُ بِاعْتِمَــارٍ عَمَرْنَــاهُ

ذكر أقسام الدعاء بعد تمام النسك

١٨٥ـ وَلَـمَّا قَـضَيْنَا للإِلَـهِ مَنَاسِكـاً　　ذَكَرْنَــاهُ وَالمَطْلُــوبَ مِنْــهُ سَأَلْنَــاهُ

١٨٦ـ فَمِنْ طَالِبٍ حَظّاً بِـدُنْيَا فَمَـا لَـهُ　　خَــلاَقٌ بِأُخْــرَاهُ إِذَا اللهُ لاَقَــاهُ

١٨٧ـ وَمِنْ طَالِبٍ حُـسْناً بِدُنْيَـا لِدِينِـهِ　　وَحُــسْنَا بِأُخْــرَاهُ وَذَاكَ يُوَفَّــاهُ(١)

١٨٨ـ وَآخَرَ لاَ يَبْغِـي مِـنَ اللهِ حَاجَـةً　　سِــوَى نَظْــرَةٍ فِي وَجْهِــهِ يَــوْمَ عُقْبَــاهُ

---

(١) يشير المؤلف رحمه الله تعالى بهذا البيت والذي قبله إلى أحوال الناس في الدعاء على ضوء قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٠ـ٢٠٢].

في هذه الآية أخبر الله تعالى عن أحوال الخلق وأن الجميع يسألونه مطالبهم، ويستدفعونه ما يضرهم، ولكن مقاصدهم تختلف، فمنهم: ﴿مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾، أي: يسأله من مطالب الدنيا ما هو من شهواته، وليس له في الآخرة من نصيب، لرغبته عنها، وقصر همته على الدنيا، ومنهم من يدعو الله لمصلحة الدارين، ويفتقر إليه في مهمات دينه ودنياه.

وكل من هؤلاء وهؤلاء لهم نصيب من كسبهم وعملهم، وسيجازيهم تعالى على حسب أعمالهم، وهماتهم، ونياتهم، جزاء دائراً بين العدل والفضل، يحمد عليه أكمل حمد وأتمه، وفي هذه الآية دليل على أن الله يجيب دعوة كل داع، مسلماً ، أو كافراً أو فاسقاً، ولكن ليست إجابته دعاء من دعاه دليلاً على محبته له، وقربه منه، إلا في مطالب الآخرة، ومهمات الدين. انتهى من تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١/ ١٥١ـ١٥٢.

طواف الوداع

١٨٩ـ وَبَاتَ حَجِيجُ الله بالبَيْتِ مُحْدِقاً ... وَرَحْمَةُ رَبِّ العَرْشِ ثَمَّتَ[1] تَغْشَاهُ
١٩٠ـ تَدَاعَتْ رِفَاقاً بالرَّحِيلِ فَمَا تَرَى ... سِوَى دَمْعِ عَيْنٍ بالدِّمَاءِ مَزَجْنَاهُ
١٩١ـ لِفُرْقَةِ بَيْتِ الله وَالحَجَرِ الذِي ... لأَجْلِهِمَا صَعْبَ الأُمُورِ سَلَكْنَاهُ
١٩٢ـ وَوَدَّعَتِ الحُجَّاجُ بَيْتَ إِلَهِهَا ... وَكُلُّهُمُ تَجْرِي مِنَ الحُزْنِ عَيْنَاهُ
١٩٣ـ فَلِلَّهِ كَمْ بَاكٍ وَصَاحِبِ حَسْرَةٍ ... يَوَدُّ بِأَنَّ الله كَانَ تَوفَّاهُ
١٩٤ـ فَلَوْ تَشْهَدُ التَّودِيعَ يَوْماً لَبِتَّهُ ... فَإِنَّ فِرَاقَ البَيْتِ مُرٌّ وَجَدْنَاهُ
١٩٥ـ فَمَا فُرْقَةُ الأَوْلادِ وَالله إِنَّهُ ... أَمَرُّ وَأَدْهَى[2] ذَاكَ شَيْءٌ خَبَرْنَاهُ
١٩٦ـ فَمَنْ لَمْ يُجَرِّبْ لَيسَ يَعْرِفُ قَدْرَهُ ... فَجَرِّبْ تَجِدْ تَصْدِيقَ مَا قَدْ ذَكَرْنَاهُ
١٩٧ـ لَقَدْ صَدَعَتْ[3] أَكْبَادَنَا وَقُلُوبَنَا ... لِمَا نَحْنُ مِنْ مُرِّ الفِرَاقِ شَرِبْنَاهُ
١٩٨ـ ووَالله لَولاَ أَنْ نُؤَمِّلَ عَوْدَةً ... إِلَيْهِ لَذُقْنَا المَوْتَ حِينَ فُجِعْنَاهُ

(١) ثمت: بفتح المثلثة، والميم المشددة اسم يشاربه للمكان البعيد ظرف لا يتصرف، وربما أدخلوا عليه التاء كما صنع الناظم، وبالضم حرف عطف. انظر: لسان العرب ١٢/ ٨١.

(٢) أدهى: اسم تفضيل من الدهو، أي: أشد مصيبة. انظر: لسان العرب ١٤/ ٢٧٥.

(٣) صدعت: أي: تشققت. انظر: لسان العرب ٨/ ١٩٤.

ذكر الرحيل إلى طيبة وزيارة النبي[1] صلى الله عليه وسلم

١٩٩ـ وَمِنْ بَعْدِ مَا طُفْنَا طَوَافَ وَدَاعِنَا ... رَحَلْنَا لِمَغْنَى[2] المُصْطَفَى وَمُصَلاَّهُ
٢٠٠ـ وَوَالله لَوْ أَنَّ الأَسِنَّةَ أُشْرِعَتْ ... وَقَامَتْ حُرُوبٌ دُونَهُ مَا تَرَكْنَاهُ[3]
٢٠١ـ وَلَوْ أَنَّنَا نَسْعَى عَلَى الرُّوسِ دُونَهُ ... وَمِنْ دُونِهِ جَفْنَ العُيُونِ فَرَشْنَاهُ
٢٠٢ـ وَتُمْلَكُ مِنَّا بِالوُصُولِ رِقَابُنَا ... وَيُسْلَبُ مِنَّا كُلُّ شَيْءٍ مَلَكْنَاهُ
٢٠٣ـ لَكَانَ يَسِيراً فِي مَحَبَّةِ أَحْمَدٍ ... وَبِالرُّوحِ لَوْ يُشْرَى الوِصَالُ شَرَيْنَاهُ
٢٠٤ـ وَرَبِّ الوَرَى لَوْلاَ مُحَمَّدٌ لَمْ نَكُنْ ... لِطَيْبَةَ نَسْعَى وَالرِّكَابَ شَدَدْنَاهُ[4]

---

(١) السنّة لمن زار المدينة النبوية أن يكون قصده زيارة المسجد النبوي للصلاة فيه فإذا بلغه يصلي فيه ركعتين، والأفضل فعلهما في الروضة النبوية، إذا تيسر له ذلك، لقول النبي ﷺ: ((ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة)) أخرجه مسلم برقم: (١٣٩٠)، ثم يأتي القبر الشريف فيسلم على النبي ﷺ، وعلى صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأرضاهما.

(٢) (لمغنى المصطفى ﷺ) المقصود بالمغنى المنزل الذي غني به أهله، ثم ظعنوا عنه، وهو عام لمطلق منزل الرجل، فالمراد به ههنا مسجده الشريف، وحيث كان يقعد، ويقوم ويذهب، ويجيء، وحيث هو مدفون ﷺ ورضي الله عن صاحبيه. انظر: لسان العرب لبيان معنى كلمة: (المغنى) ١٥/ ١٣٩.

(٣) ما تركناه: هذا من قوة محبته رحمه الله تعالى لنبي الهدى ﷺ أكثر من حبه لنفسه وولده ووالده، والناس أجمعين.

(٤) في البيت السادس بعد هذا يبين أن شد الركاب من أجل المسجد النبوي للصلاة فيه، ولاغتنام الفضل الوارد في قوله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام» أخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (١١٩٠)، ومسلم، برقم: (١٣٩٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٢٠٥ـ وَلَوْلاَهُ مَا اشْتَقْنَا العَقِيقَ وَلا قُبا ... وَلَـوْلاَهُ لَـمْ نَهْـوَ المَدِينَـةَ لَـوْلاَهُ
٢٠٦ـ هُوَ القَصْدُ إِنْ غَنَّت بِنَجْدٍ حُدَاتُنَا ... وَإِلاَّ فَمَا نَجْدٌ[1] وَسَلْعٌ[2] أَرَدْنَاهُ
٢٠٧ـ وَمَا مَكَّةَ وَالخَيْفَ قُلْ لِي وَلاَ مِنًى ... وَمَا عَرَفَاتٌ قَبْلَ شَرْعٍ أَرَانَاهُ
٢٠٨ـ بِهِ شُرِّفَتْ تِلْكَ الأَمَاكِنُ كُلُّهَا ... وَرَبُّكَ قَدْ خَصَّ الحَبِيبَ وَأَعْطَاهُ
٢٠٩ـ لِمَسْجِدِهِ سِرْنَا وَشُدَّتْ رِحَالُنَا[3] ... وَبَيْنَ يَدَيْهِ شَوْقَنَا قَدْ كَشَفْنَاهُ
٢١٠ـ قَطَعْنَا إِلَيْهِ كُلَّ بَرٍّ وَمَهْمَهٍ[4] ... وَلاَ شَاغِلٌ إِلاَّ وَعَنَّا قَطَعْنَاهُ
٢١١ـ كَذَا عَزَمَاتُ السَائِرِينَ لِطَيْبَةٍ ... رَعَى اللهُ عَزْماً لِلحَبِيبِ عَزَمْنَاهُ
٢١٢ـ وَكَمْ جَبَلٍ جُزْنَا وَرَمْلٍ وَحَاجِرٍ[5] ... وَلله كَمْ وَادٍ وَشِعْبٍ[6] عَبَرْنَاهُ
٢١٣ـ تُرَنِّحُنَا[7] الأَشْوَاقُ نَحْوَ مُحَمَّدٍ ... فَنَسْرِي وَلاَ نَدْرِي بِمَا قَدْ سَرَيْنَاهُ

---

(١) جاء في اللسان ٣/ ٤١٤: ونجد من بلاد العرب ما كان فوق العالية، والعالية ما كان فوق نجد إلى أرض تهامة، إلى ما وراء مكة، فما كان دون ذلك إلى أرض العراق فهو نجد.

(٢) سلع: جبل بسوق المدينة، وقال الأزهري: وسلع موضع بقرب المدينة. معجم البلدان ٣/ ٢٣٦، تهذيب اللغة ٢/ ٩٩.

(٣) انظر: ص٣٢، حاشية: ٤.

(٤) مهمه: هي المفازة البعيدة، والبلد المقفر، سميت للخوف بها كأن كلا من الرفقاء يقول لصاحبه: مه، مه، أي: اكفف لا تدخل فيها. لسان العرب ١٣/ ٥٤٢، وانظر: النهاية في غريب الحديث ٤/ ٣٧٦.

(٥) حاجر: بالمهملة الأرض المرتفعة ووسطها منخفض. انظر: تاج العروس ٦/ ٢٤٦.

(٦) شعب: بالكسر الطريق في الجبل، أو ما انفرج بين الجبلين. انظر: تاج العروس ٢/ ١١٥.

(٧) تُرَنِّحنا: من الترنيح أي: تميل بنا من أجل الطرب والسرور. انظر: تاج العروس ٤/ ٥٧.

٢١٤ـ وَلَمَّا بَدَا جِزْعُ[1] العَقِيقِ[2] رَأَيْتَنَا نَشَاوَى[3] سُكَارَى فَارِحِينَ بِرُؤْيَاهُ
٢١٥ـ شَمَمْنَا نَسِيماً جَاءَ مِنْ نَحْوِ طِيبَةٍ فَأَهْلاً وَسَهْلاً يَا نَسِيمًا شَمَمْنَاهُ
٢١٦ـ فَقَدْ مُلِئَتْ مِنَّا القُلُوبُ مَسَرَّةً وَأَيُّ سُرُورٍ مِثْلَ مَا قَدْ سُرِرْنَاهُ
٢١٧ـ فَوَا عَجَبَاهُ كَيْفَ قَرَّتْ عُيُونُنَا وَقَدْ أَيْقَنَتْ أَنَّ الحَبِيبَ أَتَيْنَاهُ
٢١٨ـ وَلُقْيَاهُ مِنَّا بَعْدَ بُعْدٍ تَقَارَبَتْ فَوَاللهِ لاَ لُقْيَا تُعَادِلُ لُقْيَاهُ
٢١٩ـ وَصَلْنَا إِلَيْهِ وَاتَّصَلْنَا بِقُرْبِهِ فَلِلَّهِ مَا أَحْلَى وُصُولاً وَصَلْنَاهُ
٢٢٠ـ وَقَفْنَا[4] وَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُنَا مِنْ غَيْرِ شَكٍّ فَدَيْنَاهُ
٢٢١ـ وَرَدَّ عَلَيْنَا بِالسَّلاَمِ سَلاَمَنَا[5] وَقَدْ زَادَنَا فَوْقَ الذِي قَدْ بَدَأْنَاهُ
٢٢٢ـ كَذَا كَانَ خُلُقُ المُصْطَفَى وَصِفَاتُهُ بِذَلِكَ فِي الكُتْبِ الصِّحَاحِ[6] عَرَفْنَاهُ

---

(١) جزع: بالكسر منعطف الوادي. انظر: تاج العروس ١١/ ٦٣.

(٢) العقيق: موضع بظاهر المدينة فيه عيون، ونخيل، وجاء في الحديث: إنه واد مبارك. انظر: الحديث في صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٣/ ٣٩٢، برقم: ١٥٣٤، وراجع: معجم البلدان ٤/ ١٣٩.

(٣) نشاوى: بالفتح جمع نشوان، بمعنى: سكران. انظر: القاموس المحيط ٤/ ٣٩٨، تاج العروس ٢٠/ ٢٤٤.

(٤) وقفنا: يقصد وقوفهم هو ومن معه في المسجد النبوي الشريف عند حائط قبره العالي عليه الصلاة والسلام.

(٥) يشير بقوله هذا إلى قوله ﷺ: «ما من أحد يسلم عليَّ إلا رد الله عليَّ روحي حتى أردَّ عليه السلام»، أخرجه أبو داود ٢/ ٥٣٤، برقم: (٢٠٤١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو حديث حسن. انظر: صحيح الجامع الصغير ٢/ ٩٩١، برقم: (٥٦٧٩).

(٦) يشير رحمه الله تعالى بهذا إلى هديه ﷺ في رد السلام فقد أخرج أبو داود في سننه ٥/ ٣٧٩، برقم: (٥١٩٥)، والترمذي في سننه ٥/ ٥٢ ـ ٥٣، برقم: (٢٦٨٩)، وحسنه، من حديث

٢٢٣ـ وَثَمَّ[1] دَعَوْنَا للأَحِبَّةِ كُلِّهِمْ فَكَمْ مِنْ حَبِيبٍ بالدُّعَا قد خَصَصْنَاهُ
٢٢٤ـ وَمِلْنَا لِتَسْلِيمِ الإِمَامَيْنِ[2] عِنْدَهُ فَإِنَّهُمَا حَقاً هُنَاكَ ضَجِيعَاهُ
٢٢٥ـ وَكَمْ قَدْ مَشَيْنَا فِي مَكَانٍ بِهِ مَشَى وَكَمْ مَدْخَلٍ للهَاشِمِيِّ دَخَلْنَاهُ
٢٢٦ـ وآثَارُهُ فِيهَا العُيُونُ تَمَتَّعَتْ وَقُمْنَا وَصَلَّيْنَا بِحَيْثُ مُصَلاَّهُ
٢٢٧ـ وَكَمْ قَدْ نَشَرْنَا شَوْقَنَا لِحَبِيبِنَا وَكَمْ مِنْ غَلِيلٍ[3] فِي القُلُوبِ شَفَيْنَاهُ
٢٢٨ـ وَمَسْجِدُهُ فِيهِ سَجَدْنَا لِرَبِّنَا فَلِلَّهِ مَا أَعْلَى سُجُوداً سَجَدْنَاهُ
٢٢٩ـ بِرَوْضَتِهِ[4] قُمْنَا فَهَاتِيكَ جَنَّةٌ فَيَا فَوْزَ مَنْ فِيهَا يُصَلِّي وَبُشْرَاهُ
٢٣٠ـ وَمِنْبَرُهُ المَيْمُونُ مِنْهُ بَقِيَّةٌ وَقَفْنَا عَلَيْهَا وَالفُؤَادَ كَرَرْنَاهُ

= عمران بن حصين رضي الله عنه قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فردَّ عليه السلام، ثم جلس، فقال النبي ﷺ: عشر، ثم جاء آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه، فجلس، فقال: عشرون، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه، فجلس، فقال: ثلاثون)، وهو حديث صحيح. انظر: صحيح سنن أبي داود ٣/ ٢٧٥، برقم: (٥١٩٥)، صحيح سنن الترمذي ٣/ ٧٣ـ٧٤، برقم: (٢٦٨٩).

(١) ثَمَّ: بالفتح إشارة إلى الموضع الذي وقف فيه للسلام على نبي الهدى ﷺ، وإذا أراد المسلم أن يدعو لنفسه، أو لغيره بعد السلام على النبي ﷺ وصاحبيه فليستقبل القبلة ويدعو.

(٢) هما: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأرضاهما.

(٣) غليل: حرارة العطش، أو شدته قل أو كثر، أو حرارة الجوف لوعاً وامتعاضاً. انظر: تاج العروس ١٥/ ٥٥٠.

(٤) بروضته: الروضة في المسجد النبوي الشريف، وهي ما بين بيته ومنبره عليه الصلاة والسلام، وهي من رياض الجنة، لقوله ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» أخرجه مسلم برقم: ١٣٩٠، من حديث عبد الله بن يزيد المازني رضي الله عنه.

٢٣١ـ كَذَلِكَ مِثْلَ الجِذْعِ[1] حَنَّتْ قُلُوبُنَا ... إِلَيْهِ كَمَا وَدَّ الحَبِيبَ وَدِدْنَاهُ
٢٣٢ـ وَزُرْنَا قُبًا[2] حُبًا لأَحْمَدَ إِذْ مَشَى[3] ... عَسَى قَدَماً يَخْطُو مَقَامًا تَخَطَّاهُ
٢٣٣ـ لِنُبْعَثَ يَوْمَ البَعْثِ تَحْتَ لِوَائِهِ ... إِذَا اللهُ مِنْ تِلْكَ الأَمَاكِنِ نَادَاهُ
٢٣٤ـ وَزُرْنَا مَزَارَاتِ البَقِيعِ فَلَيْتَنَا ... هُنَاكَ دُفِنَّا وَالمَمَاتَ رُزِقْنَاهُ
٢٣٥ـ وَحَمْزَةَ زُرْنَاهُ وَمَنْ كَانَ حَوْلَهُ ... شَهِيداً وَأُحْداً[4] بِالعُيُونِ شَهِدْنَاهُ
٢٣٦ـ وَلَمَّا بَلَغْنَا مِنْ زِيَارَةِ أَحْمَدٍ ... مُنَانَا حَمِدْنَا رَبَّنَا وَشَكَرْنَاهُ
٢٣٧ـ وَمِنْ بَعْدِ هَذَا صَاحَ بِالبَيْنِ صَائِحٌ ... وَقَالَ ارْحَلُوا يَا لَيْتَنَا مَا أَطَعْنَاهُ

---

(١) يشير بهذا رحمه الله تعالى إلى حديث جابر رضي الله عنه قال: «كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخيل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر فكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكت». صحيح البخاري برقم: (٣٥٨٥).

(٢) قُبا: بالضم موضع بظاهر المدينة من الجهة الجنوبية على نحو ميلين به المسجد الذي أسس على التقوى، وبحذائه من الغرب بئر أريس نزله النبي ﷺ قبل أن يسير إلى المدينة النبوية. انظر: معجم البلدان ٤/ ٣٠١-٣٠٢.

(٣) يشير رحمه الله تعالى بهذا إلى ما رواه البخاري في صحيحه ٣/ ٦٩ ـ مع شرحه فتح الباري ـ برقم: (١١٩٣)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت ماشياً وراكباً ...».
فيشرع لمن زار المسجد النبوي أن يزور مسجد قباء، ويصلي فيه ركعتين، لأن النبي ﷺ كان يزوره كل سبت ويصلي فيه ركعتين، وقد قال ﷺ: «من تطهر في بيته، ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة»، رواه ابن ماجه في سننه برقم: (١٤١٢)، من حديث أسيد بن ظهير رضي الله عنه.

(٤) أحد ـ بضم أوله وثانيه معاً ـ: اسم الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد، وهو مرتجل لهذا الجبل، وهو جبل أحمر، ليس بذي شناخيب، وبينه وبين المدينة قرابة ميل، في شمالها. معجم البلدان ١/ ١٠٩.

٢٣٨ـ سَمِعْنَا لَهُ صَوتاً بِتَشْتِيتِ شَمْلِنَا   فَيَا مَا أَمَرَّ الصَّوْتِ حِينَ سَمِعْنَاهُ
٢٣٩ـ وَقُمْنَا نَؤُمُّ الْمُصْطَفَى لِوَدَاعِهِ   وَلاَ دَمْعَ إِلاَّ لِلْوَدَاعِ صَبَبْنَاهُ
٢٤٠ـ وَلاَ صَبْرَ كَيْفَ الصَبْرُ عِنْدَ فِرَاقِهِ   وَهَيْهَاتَ إِنَّ الصَّبْرَ عَنْهُ صَرَفْنَاهُ
٢٤١ـ أَيَصْبِرُ ذُو عَقْلٍ لِفُرْقَةِ أَحْمَدٍ   فَلاَ وَالَّذِي مِنْ قَابَ قَوْسَيْنِ أَدْنَاهُ(١)
٢٤٢ـ فَوَا حَسْرَتَاهُ مِنْ وَدَاعِ مُحَمَّدٍ   وَأَوَّاهُ(٢) مِنْ يَوْمِ التَفَرُّقِ أَوَّاهُ
٢٤٣ـ سَأَبْكِي عَلَيْهِ قَدْرَ جُهْدِي بِنَاظِرٍ   مِنَ الشَّوْقِ مَا تَرْقَى مِنَ الدَّمْعِ غَرْبَاهُ(٣)
٢٤٤ـ فَيَا وَقْتَ تَوْدِيعِي لَهُ مَا أَمَرَّهُ   وَوَقْتَ اللِّقَا وَاللهِ مَا كَانَ أَحْلاَهُ
٢٤٥ـ عَسَى اللهُ يُدْنِينِي لأَحْمَدَ ثَانِياً   فَيَا حَبَّذَا قُرْبُ الْحَبِيبِ وَمَدْنَاهُ
٢٤٦ـ فَيَا رَبِّ فَارْزُقْنِي لِمَغْنَاهُ(٤) عَوْدَةً   تُضَاعِفُ لَنَا فِيهَا الثَّوَابَ وَتَرْضَاهُ
٢٤٧ـ رَحَلْنَا وَخَلَّفْنَا لَدَيْهِ قُلُوبَنَا   فَكَمْ جَسَدٍ مِنْ غَيْرِ قَلْبٍ قَلَبْنَاهُ
٢٤٨ـ وَلَمَّا تَرَكْنَا رَبْعَهُ مِنْ وَرَائِنَا   فَلاَ نَاظِرٌ إِلاَّ إِلَيْهِ رَدَدْنَاهُ
٢٤٩ـ لِنَغْنَمَ مِنْهُ نَظْرَةً بَعْدَ نَظْرَةٍ   فَلَمَّا أَغَبْنَاهُ السُّرُورَ أَغَبْنَاهُ
٢٥٠ـ فَلاَ عَيْشَ يَهْنَى مَعْ فِرَاقِ مُحَمَّدٍ   أَأَفْقِدُ مَحْبُوبِي وَعَيْشِيَ أَهْنَاهُ

---

(١) يشير رحمه الله تعالى إلى قوله عز وجل: (فكان قاب قوسين أو أدنى) [النجم: ٩].

(٢) أواه: كشداد، كلمة تقال: عند الشكاية أو التحزن، والتوجع فيها إحدى وعشرون لغة أخرى. انظر: مختار الصحاح ص ٣٤، القاموس المحيط ٤/ ٢٨٢، لسان العرب ١٣/ ٤٧٣، المصباح المنير ١/ ٣١، تاج العروس ١٩/ ١١، فما بعدها.

(٣) غرباه: مثنى غرب بالفتح أضيف إلى الضمير: هو عرق في مجرى الدمع يسقي ولا ينقطع، وقيل: هو عرق في العين لا ينقطع سقيه. انظر: لسان العرب ١/ ٦٤٢، تاج العروس ٢/ ٢٧٥.

(٤) لمغناه: تقدم بيان معنى هذه الكلمة ص ٣٢، حاشية: ٢.

٢٥١ـ دَعُونِي أَمُتْ شَوْقاً إِلَيْهِ وَحُرْقَةً ... وَخُطُّوا عَلَى قَبْرِي[1] بِأَنِّيَ أَهْوَاهُ
٢٥٢ـ فَيَا صَاحِبِي هَذِي الَّتِي بِيَ قَدْ جَرَتْ ... وَهَذَا الَّذِي فِي حَجِّنَا قَدْ عَمِلْنَاهُ
٢٥٣ـ فَإِنْ كُنْتَ مُشْتَاقاً فَبَادِرْ إِلَى الحِمَى ... لِتَنْظُرَ آثَارَ الحَبِيبِ وَمَمْشَاهُ
٢٥٤ـ وَتَحْظَى بِبَيْتِ اللهِ مِنْ قَبْلِ مَنْعِهِ ... كَأَنَّا بِهِ عَمَّا قَلِيلٍ مُنِعْنَاهُ
٢٥٥ـ أَلَيْسَ تَرَى الأَشْرَاطَ كَيْفَ تَتَابَعَتْ ... فَبَادِرْهُ وَاغْنَمْهُ كَمَا قَدْ غَنِمْنَاهُ
٢٥٦ـ إِلَى عَرَفَاتٍ عَاجِلِ العُمْرَ وَاسْتَبِقْ ... فَثَمَّ إِلَهُ الخَلْقِ يُسْبِغُ نَعْمَاهُ
٢٥٧ـ وَعَيِّدْ مَعَ الحُجَّاجِ يَا صَاحِ فِي مِنًى ... فَعِيدُ مِنًى أَعْلاهُ عِيداً وَأَسْنَاهُ
٢٥٨ـ وَضَحِّ بِهَا وَاحْلِقْ وَسِرْ مُتَوَجِّهاً ... إِلَى البَيْتِ وَاصْنَعْ مِثْلَ مَا قَدْ صَنَعْنَاهُ
٢٥٩ـ وَكُنْ صَابِراً إِنَّا لَقِينَا مَشَقَّةً ... فَإِنْ تَلْقَهَا فَاصْبِرْ كَصَبْرٍ صَبَرْنَاهُ
٢٦٠ـ لَقَدْ بَعُدَتْ تِلْكَ المَعَالِمُ وَالرُّبَا[2] ... فَكَمْ مِنْ رَوَاحٍ مَعْ غُدُوٍّ غَدَيْنَاهُ
٢٦١ـ فَبَادِرْ إِلَيْهَا لا تَكُنْ مُتَوَانِياً ... لَعَلَّكَ تَحْظَى بِالَّذِي قَدْ حَظِينَاهُ
٢٦٢ـ وَحُجَّ بِمَالٍ مِنْ حَلالٍ عَرَفْتَهُ ... وَإِيَّاكَ وَالمَالَ الحَرَامَ وَإِيَّاهُ
٢٦٣ـ فَمَنْ كَانَ بِالمَالِ المُحَرَّمِ حَجُّهُ ... فَعَنْ حَجِّهِ وَاللهِ مَا كَانَ أَغْنَاهُ

---

(١) قال شيخنا عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى: لا يجوز أن يكتب على قبر الميت لا آيات قرآنية ولا غيرها، لا في حديدة ولا في لوح، ولا في غيرهما، لما ثبت عن النبي ﷺ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: (أنه ﷺ نهى أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه) رواه مسلم في صحيحه برقم: (٩٧٠)، زاد الترمذي برقم: (١٠٥٥)، والنسائي برقم: (٢٠٠٠)، بإسناد صحيح: (وأن يكتب عليه). مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ١٣/ ٢٤٣ـ ٢٤٤، ط: ١، ١٤٢١هـ.

(٢) الرُّبا: بالضم جمع، والرباة واحدة ما ارتفع من الأرض، وفيه أربع لغات أخر: الربو، والربوة، والرباوة مثلثتين، والرابية. انظر: لسان العرب ١٤/ ٣٠٦، تاج العروس ١٩/ ٤٤٢.

٢٦٤- إِذَا هُوَ لَبَّى اللهَ كَانَ جَوَابُهُ ... مِنَ اللهِ لا لَبَّيكَ حَجٌّ رَدَدْنَاهُ

٢٦٥- كَذَلِكَ جَاءنَا فِي الحَدِيثِ[1] مُسَطَّراً ... فَفِي الحَجِّ أَجْرٌ وَافِرٌ قَدْ سَمِعْنَاهُ[2]

٢٦٦- وَمِنْ بَعْدِ حَجٍّ سِرْ لَمِسْجِدِ أَحْمَدٍ ... وَلاَ تَخْطُهُ[3] تَنْدَمْ إِذَا تَتَخَطَّاهُ

٢٦٧- فَوَا أَسَفَ السَّارِي إِذَا ذُكِرَ الحِمَى ... إِذَا رَبْعَ خَيْرِ المُرْسَلِينَ تَخَطَّاهُ

٢٦٨- وَوَالَهَفَ الآتِي بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ ... إِذَا لَمْ يُكَمِّلْ بِالزِّيَارَةِ مَمْشَاهُ[4]

٢٦٩- يُعَزَّى عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ مَزَارِهِ ... فَقَدْ فَاتَهُ أَجْرٌ كَبِيرٌ بِأُخْرَاهُ

---

(١) هذا الحديث الذي أشار إليه هنا حديث لا يصح. انظر في تخريجه والحكم عليه ص٤٨ حاشية رقم: ٣، من منسك الصنعاني المتقدم على هذه القصيدة والمسمى: (منسك في هدي المصطفى ﷺ في حجة الوداع) بتحقيقنا.

(٢) يشير بهذا رحمه الله إلى مثل قوله ﷺ: (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)، أخرجه البخاري برقم: (١٥٢١)، ومسلم برقم: (١٣٥٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وإلى مثل قوله ﷺ عندما سئل: (أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: جهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور). أخرجه البخاري برقم: (١٥١٩)، ومسلم برقم: (٨٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في فضل الحج.

(٣) ولا تخطه: نهي من خطا يخطو، أي: لا تتجاوزه إلى غيره من الوطن ونحوه معرضاً عن زيارة مسجده ﷺ. انظر في معنى: خطا تاج العروس ١٩/ ٣٧٩.

(٤) الزيارة للمسجد النبوي سنة وليست واجبة، وليس لها تعلق بالحج، بل السنة أن يزار المسجد النبوي في جميع السنة، ولا يختص ذلك بوقت الحج، لقول النبي ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى» متفق عليه، صحيح البخاري برقم: (١٨٦٤)، صحيح مسلم برقم: (١٣٩٧).

٢٧٠ـ نَظَرْنَاهُ حَقاً حِينَ بَانَتْ رِكَابُنَا عَلَى طَيْبَةٍ حَقاً وَصِدْقاً نَظَرْنَاهُ
٢٧١ـ وَزَادَتْ بِنَا الأَشْوَاقُ عِنْدَ دُنُوِّنَا إِلَيْهَا فَمَا أَحْلَى دُنُوّاً دَنَيْنَاهُ(١)
٢٧٢ـ وَلَمَّا بَدَتْ أَعْلامُهَا وَطُلُولُهَا(٢) تَحَدَّرَتِ(٣) الرُّكْبَانُ عَمَّا رَكِبْنَاهُ
٢٧٣ـ وَسِرْنَا مُشَاةً رِفْعَةً لِمُحَمَّدٍ حَثَثْنَا(٤) الخُطَا حَتَّى المُصَلَّى دَخَلْنَاهُ
٢٧٤ـ لِنَغْنَمَ تَضْعِيفَ الثَّوابِ بِمَسْجِدٍ صَلاةُ الفَتَى فِيهِ بِأَلْفٍ يُوَفَّاهُ(٥)
٢٧٥ـ كَذَلِكَ فَاغْنَمْ فِي زِيَارَةِ طَيْبَةٍ كَمَا قَدْ فَعَلْنَا وَاغْتَنِمْ مَا غَنِمْنَاهُ
٢٧٦ـ فَإِذْمَا رَأَيْتَ القَبْرَ قَبْرَ مُحَمَّدٍ فَلا تَدْنُ(٦) مِنْهُ ذَاكَ أَوْلَى لِعُلْيَاهُ
٢٧٧ـ وَقِفْ بِوَقَارٍ عِنْدَهُ وَسَكِينَةٍ وَمَثِّلْ رَسُولَ اللهِ حَيّاً بِمَثْوَاهُ
٢٧٨ـ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَالوَزِيرَيْنِ(٧) عِنْدَهُ وَزُرْهُ كَمَا زُرْنَا لِتَحْصِدَ عُقْبَاهُ

---

(١) دنينا: لغة في دنونا. انظر: لسان العرب ١٤/ ٢٧٢، المصباح المنير ١/ ٢٠١، تاج العروس ١٩/ ٤١٧.
(٢) طلولها: الطلول جمع طلل: ما شخص من آثار الدار. انظر: لسان العرب ١١/ ٤٠٦، تاج العروس ١٥/ ٤٣٩.
(٣) تحدَّرت: من التحدُّر وهو النزول من علو إلى سفل. انظر: لسان العرب ٤/ ١٧٢.
(٤) حثثنا: أي: أسرعنا. انظر: لسان العرب ٢/ ١٣٠.
(٥) لقوله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»، وقد تقدم تخريجه ص ٣٢، حاشية: ٤.
(٦) (فلا تدن): أي: لا تقرب من حائط قبره الشريف، بل قم منه على بعد بأدب ووقار وسكينة، وهذا هو اللائق بجنابه ﷺ إذ الدنو منه يؤذن بقلة الأدب معه في الداني. انظر: في آداب السلام عليه ﷺ: المغني لابن قدامة ٣/ ٥٥٨ـ٥٥٩، المجموع شرح المهذب للنووي ٨/ ٢٧٣ـ٢٧٤، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/ ٣٠٧.
(٧) هما: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأرضاهما.

٢٧٩ـ وَبَلِّغْهُ عَنَّا لاَ عَدِمْتَ سَلاَمَنَا ... فَأَنْتَ رَسُولٌ لِلرَّسُولِ بَعَثْنَاهُ[1]

٢٨٠ـ وَمَنْ كَانَ مِنَّا مُبْلِغًا لِسَلاَمِنَا ... فَإِنَّا بِمِبْلاَغِ السَّلاَمِ سَبَقْنَاهُ

٢٨١ـ فَيَا نِعْمَةً للهِ لَسْنَا بِشُكْرِهَا ... نَقُومُ وَلَوْ مَاءَ الْبُحُورِ مَدَدْنَاهُ

٢٨٢ـ فَنَحْمَدُ رَبَّ الْعَرْشِ إِذْ كَانَ حَجُّنَا ... بِزَوْرَةِ مَنْ كَانَ الْخِتَامَ خَتَمْنَاهُ

٢٨٣ـ عَلَيْكَ سَلاَمُ اللهِ مَا دَامَتِ السَّمَا ... سَلاَمٌ كَمَا يَبْغِي الإِلَهُ وَيَرْضَاهُ

وبهذا البيت تمت قصيدة الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني رحمه الله تعالى، وأجزل مثوبته، آمين.

---

(١) لم يرد عن السلف رحمهم الله تعالى أنهم كانوا يبعثون بسلامهم على الرسول ﷺ مع من شدّ رحله لزيارة المسجد النبوي الشريف، وإنما حدث هذا فيمن جاء بعدهم في أزمنة متأخرة، وإلى هنا انتهى ما أردناه من العناية بهذه القصيدة، أسأل الله الكريم أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن يتقبله منا، وأن ينفع به طلبة العلم، إنه أكرم مسؤول وأعظم مأمول،، كما أسأله تعالى أن يجزل الأجر والمثوبة للإمام الصنعاني على ما قدّمه من بيان لأحكام حج بيت الله الحرام في هذه القصيدة، ووصفه العجيب فيها لحجاج بيت الله الحرام، وهم متوجهون إلى البيت العتيق، وتنقّلهم في المشاعر المقدّسة، وأثناء توجههم لطيبة الطيبة لزيارة المسجد النبويّ الشريف لاغتنام فضل الصلاة فيه، ثمّ السلام على نبيّ الهدى صلى الله عليه وسلم، وصاحبيه رضي الله عنهما، ثمّ القيام بزيارة الأماكن المشروع زيارتها، مثل مسجد قباء للصلاة فيه، وشهداء أحد، وبقيع الغرقد تأسياً بالنبي صلى الله عليه وسلم، فرحم الله الإمام الصنعاني رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكان الفراغ من تحرير هذا ليلة الأربعاء الموافق ٢٨ ربيع الأول عام ١٤٣٠ هـ.

وكتبه الفقير إلى عفو ربه: الدكتور / ناصر بن علي بن عايض الشيخ.

فهرس موضوعات القصيدة